بسم الله الرحمن الرحيم

الوثائق الرسمية
لثورة الإمام الحسين عليه السلام



الحسيني القزويني، عبد الكريم

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام / عبد الكريم الحسيني القزويني. - الطبعة مزيدة ومنقحة. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

٢٤٨ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٤٨)

المصادر ص: ٢٣٣ - ٢٣٤؛ وكذلك في الحاشية.

١. واقعة كربلاء، ٦١ق. ٢ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - الخطب. ٣ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - أصحاب - الخطب. ألف. العنوان.

BP ٤١ / ٥ / ح٥٧ و٣

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر



تأليف

السيد عبد الكريم الحسيني القزويني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

الطبعة السابعة

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا
تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ
ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم
مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ
وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

سورة البقرة: ١٥٤ ـ ١٥٧.

الإهداء

إليك يا أبا عبد الله

أهديك يا مولاي الطبعة السادسة من كتابي هذا، لأنّك أول الثائرين من أجل الإسلام ورسالته وتطبيق حكومته ونشر معالمه والى جميع الشهداء الذين ثاروا من أجل هدفك وخطى هديك وشهادتك في كل زمان ومكان، ولاسيما شهداء الحوزة العلمية من مراجع العلم وطلابه وأبنائنا المؤمنين الذين قتلوا ظلماً وعدواناً وعلى رأسهم المرجع الشهيد السيد محمّد باقر الصدر.

مولاي.. راجياً بذلك شفاعة جدك وأبيك وأمك وأخيك وشفاعتك وشفاعة بنيك الأئمة الطاهرين، لي ولزوجتي العلوية الشهيدة ولوالديّ اللذين علماني مودتكم والسير على نهجكم أهل البيت الذي فرضه الله بقرآنه:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وطابت شفاه من قال:

لا عذب الله أمي إنّها شربت	حب الوصي وغذتنيه باللبن
وكان لي والد يهوى أبا حسن	فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

سيدي.. أبا الشهداء! إنّا بحبكم غُذينا، وبطينتكم عُجّنا، وعلى دربكم مشينا، وبنهجكم سرنا. فامنُن علينا بحفظ أوطاننا، ومرجعنا الصامد الصابر المجاهد حفيدك ونائبك الإمام السيد السيستاني، واحرسه من عاديات الزمن الداخلية والخارجية، واجعله سنداً للإسلام وذخراً للمسلمين.

فتقبل يا سيدي من ولدك / ١ ذي الحجة الحرام ١٤٢٤

مقدّمة الطبعة الرابعة والسادسة

حمداً لك يا ربّ على ما أنعمت علينا بالإسلام ديناً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً وهادياً، وبآله أئمة وسادة وقادة.

قارئي العزيز:

الكتاب الذي بين يديك (الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام)، فكرة سنحت لي في أيام محرم من سنة ١٣٩١ هـ، وهي أيام ذكرى استشهاده عليه السلام، فأحببت أن اكتب بحثاً عن أبي الضيم، سبط الرسول الأعظم وريحانته، وحبيب قلبه، فعزمت على الأمر بعد التوكل على الله وأخذت أبحث في بطون كتب التواريخ، وأسجل ما يتعلق بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وثيقة إثر وثيقة، وبينما كنت أدوّن تلك الوثائق، كانت دموعي تسبق قلمي حين يكتب حروف كلماتها، لِما في ذلك من المصائب والمحن والآلام التي حلّت بالسبط الشهيد وعترته وأصحابه.

وفي ليلة من تلكم الليالي التي كنت مشغولا بتسطير الوثائق دبّ النعاس إلى جفوني فغلبني النوم، إذ أرى نفسي في عالم الرؤيا وكأنّ الكتاب قد طبع، وأنا أهدي نسخة منه للإمام الحسين الشهيد عليه السلام في حين أن الكتاب لم يزل في مرحلة التأليف.

وحين أفقت من النوم انتابتني فرحة ممزوجة بالبكاء في نفس الوقت، لّما قد علمت أنّه قد يكون موضع قبول ورضى الله تعالى ورسوله والسبط العظيم، فزادتني هذه الرؤيا عزماً على إكمال تأليفه وكتابة وثائقه، ومن ثم طبعه فوراً في العراق في تلك السنة، وهي الطبعة الأولى.

وبعد إكمال تأليفه، حيث طبع الكتاب ولم يوزع للمكتبات بعد، أخذت نسخةً منه وذهبت بها إلى كربلاء المقدسة، لحرم ريحانة رسول الله، مخاطباً إياه أن يتقبل هذه الهدية، وقد تم تسجيلها في مكتبة حرمه الشريف.

فكانت هذه الرؤيا السلوة والمحفز لي على إكمال هذا الجهد المتواضع الذي قمت به؛ لأنّه سيكون إن شاء الله شفيع لي في ذلك اليوم الذي:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وقد طبع الكتاب طبعات عديدة وهي:

الطبعة الأولى: في العراق سنة ١٣٩١ هـ.

الطبعة الثانية: في بيروت سنة ١٩٨٠ م.

الطبعة الثالثة: في مدينة قم المقدسة سنة ١٤٠٤ هـ.

الطبعة الرابعة: وهي التي بين يديك، وتمتاز عن طبعاته السابقة بإضافة ١٤ وثيقة تتعلق بثورة الإمام الحسين عليه السلام ومخاطباته لمعاوية مع زيادة تعليقات جديدة وطباعة أنيقة. ثم أيضاً طبعت الطبعة الخامسة والسادسة.

نسأل الله العلي القدير أن يسدد خطانا، وأن يثبت أقدامنا على صراطه المستقيم، وأقول: «رب واجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري».

عبد الكريم الحسيني القزويني

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمّد وآله الأئمة الأطهار المجاهدين.

قارئي العزيز:

بين يديك القسم الأول من هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه جميع الوثائق الرسمية التي تتعلق بثورة الإمام الحسين عليه السلام من الكتب والخطب والبيانات، التي ترتبط بهذه الثورة، أسواء كانت صادرة عن الحسين عليه السلام أو أصحابه، أو عن المسؤولين في الحكم آنذاك، منذ أن أعلن ثورته في المدينة إلى يوم مصرعه في كربلاء.

وقد بذلت جهد إمكاني في ضبطها وتنظيمها، مع المحافظة على الترتيب الزمني لهذه الرسائل والخطب والبيانات، وقد عشت بعض أيامي مواكباً لهذه الوثائق بين الكتب والمصادر التاريخية؛ لأدقّق في حرفيتها ونصها وزمنها، وقد وفقت إلى حد ما في ضبطها النصّي والزمني.

وهي ـ بحسب اعتقادي ـ أول محاولة دراسية في بابها، يستفيد منها: الثائر، والفدائي، والكاتب، والأديب، والخطيب، والناقد الاجتماعي؛ لأنّها تعطي صوراً ونماذج عن الذهنية والعقلية التي عاشت وعاصرت فترة الثورة المقدسة.

أخي القارئ:

إنّ فكرة جمع هذه الوثائق ما هي إلاّ فكرة طارئة، حدثت في أيام ذكرى ثورة الإمام الحسين عليه السلام من شهر محرم من هذه السنة (١٣٩١هـ)، حيث أحببت أن أُلّم ببعض خطبه عليه السلام، فراجعت بعض المصادر، وإذا أنا أمام ثروة كبيرة تتعلق بالثورة الحسينية، ففكرت في جمعها ونشرها في كتاب مختصر[(١)]؛ لتستفيد الأمة من تراثها ويطلع الرأي العام عليها، ونحقق بذلك الأهداف التالية:

١ ـ اطلاع الأمة على بعض معالم دينها وعقيدتها؛ لما في هذه الوثائق من الحقائق الدينية، التي لابد للأمة من الاطلاع عليها وفهمها.

٢ ـ اطلاع الأمة على التراث الأدبي واللغوي لرجالها الثائرين، والذي يتجلى في خطب الإمام الحسين عليه السلام ورسائله بشكل خاص.

٣ ـ التركيز على الوعي الحسيني في النفوس. وعياً كاملا بخطوطه وأبعاده؛ حتى يكون واضحاً لدى الجميع، ماذا أراد الحسين عليه السلام من ثورته؟ وما هي الغاية منها؟

٤ ـ الاستفادة من التضحيات والقرابين، التي قدمها أبو الشهداء ظهيرة يوم العاشر من محرم، في سبيل رسالته وعقيدته؛ لنستمد من تضحياته جذوة تنير لنا الدرب، في المحافظة على ديننا وتحرير بلادنا من رجس الصهيونية والاستكبار العالمي، ولنصمد في وجه تيارها وأفكارها، كما صمد عليه السلام هو والصفوة الطاهرة من

---

(١) سوف ابحث هذه النصوص بشكل أوسع، متناً وسنداً ورواية وتعليقاً، في القريب بإذن الله.

أصحابه، في وجه ذلك الزخم العسكري الهائل من أجل دينه ومقدساته.

فأقدم هدف أبي عبد الله «من جديد إلى ضمائر فريق كبير من بني الإنسانية؛ لعلهم يقدمون رسالته خطوة واحدة أو خطوات، في سبيل اليقين والعمل الخالص لوجه الحق والكمال»[1].

وأخيراً فإني حاولت أن أتبسط، وابتعد عن مجال الخيال الأدبي والترف اللفظي في هذا الكتاب؛ من أجل أن يقرأه ويفهمه الجميع؛ ليكون موضعاً للعناية والدراسة.

وختاماً

وكلي أمل يا سيدي ويا مولاي، يا أبا الشهداء، أن تكون هذه الوريقات موضع قبول عندك؛ حتى تكون شفيعاً لي ولوالدي عند جدك رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؛ حتى ننضوي تحت لوائه، يوم لا لواء إلاّ لواءه.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

عبدالكريم الحسيني القزويني

---

(١) أبو الشهداء، عباس محمود العقاد: ٦.

(٢) سورة الشعراء (٢٦): ٨٩.

عرض وتمهيد

عرض وتمهيد

ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي من أهم الثورات، التي شغلت فكر الإنسانية وأخذت مجالا كبيراً من التاريخ الإسلامي؛ لأنها حدث غير عادي ومهم جداً.

فكان لابدّ للمؤرخ مهما كانت ميوله ومعتقداته أن يشير إليها بإيجاز أو بإسهاب؛ وذلك ـ طبعاً ـ من وجهة نظره الخاصة، وحسب سعة اطلاعه الفكري وضيقه.

ولو نظرنا إلى جلّ من أرخ لثورة الحسين عليه السلام، لرأيناه يتصاغر أمام عظمتها وواقعيتها، إلاّ نفراً يسيراً ممّن أُشبعت نفوسهم ببغض آل البيت (عليهم السلام)، واستميلت ضمائُرهم بالمال أو الجاه.

والذي عليه آراء الأمة منذ ثورة الإمام الحسين عليه السلام حتى يومنا هذا أنها الثورة الحقيقية التي قدمت للإسلام القرابين والضحايا من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فأعادت إليه هيبته المنهارة كرامته المفقودة، وذلك بسبب تلاعب المتسلطين آنذاك بمقدساته وأحكامه.

ثورة الإمام الحسين ومعطياتها

إن الزخم العطائي لثورة الإمام الحسين عليه السلام عطاء مستمر ودائم، على مختلف العصور والدهور والأجيال، فهي بمثابة المشعل الذي ينير الدرب للثائرين، في

سبيل رسالة الحق، الرسالة الإسلامية الخالدة. وفي نفس الوقت تحرق الهياكل الوهمية المزيفة التي بنت دعائهما على عروش وكراسي من الشمع، سرعان ما تذوب بحرارة الثورة الحسينية المقدسة.

وهذا العطاء الدائم المستمر للثورة، طالما غذّى الغصون الإسلامية؛ حتى نمت وترعرعت ببركة ثورة أبي الشهداء الحسين الخالد. فهي كانت ولا تزال وستكون نبراساً لكل إنسان معذب ومضطهد على وجه هذه الأرض، وهي الأمل المنشود لكل الناس الخيرين، الذين يدافعون عن حقهم في العيش بسلام وأمان.

فهذه القرون تأتي وتذوب قرناً بعد قرن، كما تذوب حبة الملح في المحيط. وهذا الحسين اسمه باق في القلوب وفي الأفكار والضمائر، فهو أكبر من القرون وأكبر من الزمن؛ لأنّه عاش لله، وجاهد في سبيله، وقتل في رضوانه. فهو مع الله والله معه، ومن كان الله معه فهو باق. وإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد تمخضت وكشفت عن جانبين مهمين هما:

١ ـ الجانب العاطفي للثورة

وهي الثورة الوحيدة في العالم، التي لو تسنّى لكل فرد مهما كان معتقده وفكرته أن يقرأ مسرحيتها بكل أبعادها وتفاصيلها، لما تمكّن من أن يملك دمعته وعبرته. وكما هو المعروف الآن في البلاد غير الإسلامية كالهند وبعض الدول في أفريقيا حيث يقرأ بعض أبنائها ملحمة واقعة الطف في كربلاء، فإنهم لا يملكون إلاّ أن يجهشوا بالبكاء، وقد يؤدي أحياناً إلى ضرب الصدور لا شعورياً؛ لأنها مأساة أليمة تتصدع القلوب لهولها ومصابها.

وذلك كما وصفها المؤرخ الانكليزي الشهير [جيبون] بقوله: «إن مأساة الحسين المروّعة، بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لابدّ أن تثير العطف والحنان في نفس

أقل القرّاء إحساساً وأقساهم قلباً»[١].

وأكثر من هذا، إنه قد روي: إنّ الذين قاتلوا رجال الثورة لم يملكوا أنفسهم من البكاء، فهذا (عمر بن سعد) قائد الجيش الأموي في كربلاء، يبكي عندما نادته زينب بنت علي (عليها السلام) قائلة له:

«يابن سعد! أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه»؟

فصرف وجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته[٢].

وقيل أيضاً: إنّ الأعداء بعد قتل الحسين عليه السلام، هجموا على عياله يسلبونهم وهم يبكون. فجاء رجل إلى فاطمة بنت الحسين وأراد سلبها وهو يبكي، فقالت له:

لماذا تسلبني إذن؟

فقال لها: أخاف أن يأخذه غيري[٣].

وكيف لا تكون كذلك، وهي المأساة التي أدمت قلب الإنسانية، وأقرحت جفونها، تألّماً وتأثّراً؛ لأنّ فيها قتل الشيخ الطاعن في السنّ، الذي جاوز السبعين، وقتل فيها الكهل، وهم الغالبية من أصحاب الحسين. وفيها الفتي الذي جاوز الحلم أو لمّا، من بني هاشم وأقمارهم، وفتيان أصحابهم. وفيها الطفل الرضيع والمرأة العجوز. وفيها التمثيل بأجساد الشهداء، ورضّها بحوافر الخيل، وقطع رؤوسها. وحرمان النساء والأطفال من الماء، ونهب الخيام وحرقها. وسَوْق بنات رسول الله سبايا من بلد إلى بلد، يتصفح وجوههن القريب والبعيد... وإلى ما هنالك من المآسي والآلام التي حلّت بشهداء هذه الثورة.

---

(١) تاريخ العرب، السيد ميرعلي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، سنة ١٩٣٨م.

(٢) انظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٥، تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣: ٢٠٤.

٢ ـ الجانب العقائدي للثورة

إذا أردنا دراسة هذا الجانب، فلم نعرف أنّ ثورة في التاريخ عرفت بعقائديتها بهذا اللون من الاعتقاد، والتفاني من أجله، كثورة الحسين عليه السلام.

والإنسان لا يمكن له أن يعرف المستوى العقائدي لثورة من الثورات، إلاّ أن يدرس النصوص والوثائق لقادة هذه الثورات وأنصارها.

وثورة الإمام الحسين عليه السلام بلغت في عقائديتها الذروة العليا في الوعي والعمق، لدى قائدها وأتباعه وأنصاره. فهي لم تختلف وعياً في جميع أدوارها، منذ أن أعلنت حتى آخر نفس من حياة رجالها، على مختلف المستويات الثقافية والإدراكية لرجالها.

فهذا الشيخ الكبير يحمل نفس الوعي للثورة الحسينية، الذي يحمله الكهل والفتى، وحتى الذي لم يبلغ الحلم، يحمل نفس الروح لدى رجالها وأبطالها.

فلو تصفّحنا الوثائق الأولى لقائد هذه الثورة الحسين عليه السلام، لرأيناها تحمل نفس روح الوثائق التي قالها الحسين عليه السلام في آخر حياته فهي:

أ ـ الثورة على حكم يزيد بن معاوية

ب ـ إقامة الشريعة الإسلامية وتطبيقها مقام المخالفات التي أشاعها الحاكم آنذاك. فثورة الإمام الحسين عليه السلام هدفت في قيامها هذين الخطين:

تغيير الجهاز الحاكم، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

أ ـ تغيير الجهاز الحاكم

فالإمام الحسين لم يقصد من ثورته على الحكم تغيير يزيد بالذات؛ لأنه هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، فتكون ثورته ثورة قبلية كما يصورها البعض ويعتقد

بأنّ الخصومة بين الهاشميين والأمويين، كانت مستمرة منذ قرون قبل الإسلام وبعده، ولهذا خرج الحسين عليه السلام على يزيد. بل الإمام الحسين عليه السلام علل ثورته على حكم يزيد في بعض خطبه وبياناته. ويتضح ذلك جلياً ممّا جاء في الوثيقة، التي خطبها الحسين عليه السلام أمام أول كتيبة للجيش الأموي:

«أيها الناس! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلا لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»[1].

حيث علّل عليه السلام خروجه على سلطان يزيد؛ لأنّه سلطان جائر، يحكم الناس بالإثم والعدوان، وذلك مخالف للشريعة الإسلامية، ولسنّة النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فلهذا خرج عليه.

صحيح أنّ هناك بعض الوثائق تصرّح باسم يزيد، كما في وثيقة رقم (١٢) الوثيقة التي قالها لما طلب منه والي يزيد على المدينة مبايعة يزيد، فأجابه عليه السلام:

«أيها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة» إلى قوله: «ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[2].

فهكذا نجد الإمام عليه السلام يعلل ثورته على يزيد؛ لأنّه رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق. وهذه الصفات لا تتفق مع شروط الخلافة، فلهذا أعلن الحسين عليه السلام ثورته على حكمه. فثورته ليست ثورة قبلية ولا عنصرية، كما يتوهم البعض.

---

(١) انظر الوثيقة رقم ٥٨ من هذا الكتاب.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٢) من هذا الكتاب.

ب ـ تطبيق الشريعة الإسلامية

وهذا هو من أهم أهداف الحسين عليه السلام، من ثورته على الحكم، حيث عرض نفسه وأهل بيته وأصحابه، للقتل والسلب والنهب، من أجل هذا الهدف المقدس.

فالحسين لم تكن غايته الرئيسية من خروجه، تَسلُّم زمام الحكم فحسب، بل إنما هو يعتبِر الاستيلاء على الحكم وسيلة لتطبيق أحكام الشريعة، لا غاية بذاتها.

ولا أيضاً بدافع العامل الاقتصادي كما يذهب إليه البعض من أنها نتيجة لظروف اقتصادية معينة، دفعت بالحسين إلى ثورته.

وليس أيضاً بصحيح ما يقوله البعض: من أنّها نتيجة مرحلة زمنية اقتضتها التطورات التاريخية آنذاك، بل الدافع الرئيسي الوحيد للإمام الحسين عليه السلام، هو تطبيق الشريعة الإسلامية والمحافظة عليها، وإن أدى ذلك إلى سفك دمه.

ويسند قولنا هذا، ما جاء في بعض نصوص خطبه ورسائله مثل:

١ ـ «ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»[١].

٢ ـ «وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه، فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت»[٢].

٣ ـ «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه»[٣].

---

(١) انظر الوثيقة رقم ٥٨ من هذا الكتاب.

(٢) انظر الوثيقة رقم ٢٤ من هذا الكتاب.

(٣) انظر الوثيقة رقم ٦٣ من هذا الكتاب.

٤ ـ «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي»[1].

فإنّ هذه المقتطفات من خطب ورسائل الإمام الحسين عليه السلام، لهي نصوص صريحة واضحة، لا شبهة ولا غموض فيها؛ لبيان غرضه وهدفه عليه السلام.

فإنها جميعاً تدل على أنّ الحكم القائم آنذاك، كان يعمل بكل قواه، على تقويض الشريعة الإسلامية من جذورها، بإشاعة المنكر والباطل، ومخالفة الكتاب والسنة «فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت».

والحسين عليه السلام لم يخرج لغير مقاومة المنكر والباطل، وإحياء السنّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يطلب الحكم والمنصب قط؛ لأنّه من أهل بيت النبوة، الذين لم يأتوا للملك إلاّ أن يقوّموا المعوّج، ويدعوا إلى الحق، ويدفعوا الباطل.

فهذا جدّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في بداية دعوته، عَرضت عليه رجالات قريش الملك والسيادة والمال، على أن يترك دعوته وقول الحق، فأبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقال لعمه أبي طالب عليه السلام: «يا عمّاه! لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته»[2].

وهذا أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام القائل:

«اللّهم إنك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا، منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر

(١) انظر الوثيقة رقم ١٧ من هذا الكتاب.

(٢) انظر تاريخ الكامل، ابن الأثير ٢: ٤٣.

الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[١].

وقد عرضت عليه الخلافة في قضية الشورى بشروط، فأبى عليه السلام؛ لئلا يخالف الشروط التي لا يرتضيها. في حين أن الخلافة الإسلامية في وقتها، كانت الدنيا بأسرها، وخصوصاً بعد أن انهارت دولة الروم والفرس. فعلي عليه السلام أبى أن يقبلها مع أهميتها في مقابل أن لا يخالف شرطاً، فرفض الدنيا بأسرها في رفضه إياها، إزاء عدم مخالفة شرط واحد.

وهذا أيضاً سفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، بعثه عليه السلام إلى الكوفة لأخذ البيعة من أهلها، وجاء عبيد الله بن زياد ودخل الكوفة، فذهب مسلم إلى دار هاني بن عروة، وكان في داره شريك بن الأعور مريضاً، فأراد ابن زياد عيادة شريك في دار هاني، فاتفق شريك مع مسلم أن يقتل عبيد الله، عندما يأتي لعيادته، والإشارة بينهما رفع شريك عمامته.

ثم جاء ابن زياد ودخل على شريك، ومسلم مختبئ في الخزانة، فأخذ شريك يرفع عمامته مراراً، فلم يخرج مسلم، وقال: اسقنيها ولو كان فيها حتفي. فقال ابن زياد: إنه يخلط في علته، ثم خرج من دار هاني.

فخرج مسلم، وقال له شريك: ما منعك منه؟ فقال مسلم: تذكرت حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن»[٢].

فلو كان مسلم يريد الإمارة والملك؛ لخرج وفتك بابن زياد وأراح الأمة من شره، ولكنّه يخشى على إيمانه وعقيدته؛ لأنّ الإيمان قيد الفتك، والمؤمن لا يفتك.

(١) نهج البلاغة، محمّد عبدة ٢: ١٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٢٤٦، الكامل، ابن الأثير ٣: ٢٧٠.

وهكذا لو أردنا أن نستعرض أهل البيت (عليهم السلام)، لرأيناهم لا ينشدون ملكاً ولا سلطاناً بالذات، وإنّما غايتهم من الحكم هي تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتركيز دعائمها.

فلهذا نرى الإمام الحسين عليه السلام يقول:

«وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي»[١].

فهذه هي سيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإسلام والخلافة

اهتم الإسلام بالخلافة اهتماماً كبيراً؛ لأنّ عليها يقوم بنيانه ويبني مجتمعه، وإنّها القاعدة الأساسية لحفظ شريعته، وصيانة مجتمعه من الانهيار والتشتت والتفرق، وبدونها لا تقوم للإسلام قائمة.

«فهي ضرورة من ضروريات الحياة الإسلامية لا يمكن الاستغناء عنها، فبها يقام ما اعوج من نظام الدين، وبها تتحقق العدالة الكبرى، التي ينشدها الله في الأرض»[٢].

فلهذا نرى أن الرسول الأعظم قرنها ببداية التشريع الإسلامي، وبدء نزول الوحي، حيث أمر صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ دعوته أهله وعشيرته كما جاء في تاريخ الكامل لابن الأثير، حين نزلت هذه الآية:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٣].

(١) انظر الوثيقة رقم ١٧ من هذا الكتاب.

(٢) نظام الحكم، باقر القرشي: ٢١٢.

(٣) سورة الشعراء (٢٦): ٢١٤.

فجمع النبي عشيرته على وليمة، وخطب خطبته المشهورة:

«إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلاّ هو إنّي رسول الله إليكم خاصّة، وإلى الناس عامّة» إلى أن قال: «يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم»[(١)].

فأحجم القوم عن الجواب، إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقام وقال:

«أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه».

فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم برقبة الإمام علي وقال:

«هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»[(٢)].

ولأهميتها أيضاً أمر الله العباد بإطاعة من تسلم قيادتها إذا كان كامل الأهلية، حيث قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[(٣)].

فجعل الله طاعة الخليفة، الذي يتقلد زمام أمرها، من طاعته وطاعة رسوله.

وقد أوجبها الفقهاء على اختلاف مذاهبهم شيعة وسنة، ولا نستطيع أن نستعرض هنا الآراء بشكل مفصل في هذه الوريقات، وإنّما نلمح إليها برأي واحد لكل من المذهبين.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الكامل، ابن الأثير ٢: ٤٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة النساء (٤): ٥٩.

الخلافة في رأي الشيعة

فالذي عليه إجماع الشيعة، أنّ الخلافة أو الإمامة، هي منصب إلهي بنصّ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبوحي من الله، يقول الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء:

«نحن الشيعة نعتقد أنّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أنّ الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي كالنص من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنصّ عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده؛ للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها، سوى أنّ الإمام لا يوحى إليه كالنبي، وإنما يتلقى الأحكام من النبي»[١].

الخلافة في نظر أهل السنة

والذي عليه إجماع المذاهب السنية، من أنّها ضرورة من ضروريات الدين إلاّ من شذ منها، فيقول الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها ممّن يقوم بها واجب بالإجماع»[٢].

أهلية الخلافة

بعد أن عرفنا أهمية الخلافة في الإسلام، بقي الآن أن نعرف، هل هناك شروط فيمن يتقلد زمامها وأمرها؟ حتى نرى أن يزيد بن معاوية كان أهلا لها أم لا؟ فالمذاهب الإسلامية على اختلاف آرائها وأفكارها، تشترط في الخليفة شروطاً معينة، لا مجال هنا لذكرها جميعاً، ولكنها قد اتفقت على شرطين أساسيين: الإيمان والعدالة.

---

(١) أصل الشيعة، الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء: ٧٥.

(٢) الأحكام السلطانية: ٣، راجع نظام الحكم، باقر القرشي: ٢١٣.

الخليفة ورأي الشيعة

تعتبر الشيعة في الخليفة أن يكون منصوصاً عليه من الله تعالى عن طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرنا، وأنها تشترط في الخليفة شروطاً بالإضافة إلى إيمانه وعصمته «أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال، من شجاعة وكرم وعفّة وصدق وعدل، ومن تدبير عقل وحكمة وخلق»[(١)].

وإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي بن أبي طالب بالخلافة في عودته من حجة الوداع، في مكان يقال له (غدير خم)، ولهم أدلة على ذلك في كتبهم.

فعلى هذا: فالشيعة لا ترى ليزيد ولا لأبيه معاوية، أي حق بالخلافة، بالإضافة إلى عدم توفره على أهليتها، لفسقه وفجوره وعدم إيمانه كما سنذكره.

الخليفة في رأي أهل السنة

أما أهل السنة فالذي عليه الرأي العام منهم، أنّ الخليفة يجب أن تتوفر فيه العدالة. يقول ابن حزم الأندلسي: «اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة، وإنّ الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة، التي جاء بها رسول الله»[(٢)].

واشترطوا في الخليفة أيضا:

البلوغ، والعقل، والذكورة، والإسلام، والعلم بفرائض الدين، والتقوى، وعدم الضعف والسفاهة. ثم يقول ابن حزم شارحاً معنى ما تقدم:

١ ـ على الخليفة أن يكون عالماً بما يخصه من أمور الدين، من العبادات والسياسة والأحكام.

---

(١) عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر: ٦٦.

(٢) الملل والأهواء ٤: ٨٧.

٢ ـ أن يكون مؤدياً للفرائض كلّها، لا يخلّ بشيء منها.

٣ ـ أن يجتنب جميع الكبائر سراً وجهراً.

٤ ـ أن يتستر بالصغائر، إن كانت تصدر منه[١].

يزيد وأهلية الخلافة

هذه هي أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الخليفة الإسلامي، فأين (يزيد) منها؟ وهل فيه من هذه الصفات التي ذكرت، وقد أجمع معاصروه، ومَن بعدهم على خلوّه منها، وأنّه ليست له هذه الأهلية؛ لأنّه متصف بجميع الصفات القبيحة، كشرب الخمر، ولعب القمار، وضرب الملاهي، واللعب بالكلاب الهراش، وإلى ما هنالك من صفات منافية. فلنستمع إلى ما يذكره المؤرخون عنه:

١ ـ هذا ابن قتيبة ينقل ردّ الحسين على معاوية، عندما جاء إلى المدينة المنورة؛ لأخذ البيعة لابنه يزيد من بعده، من رجالات المدينة. فبعد أن خطب فيهم وأثنى على ولده يزيد، قام إليه الحسين عليه السلام وأجابه بعد كلام طويل قائلا لمعاوية:

«كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبرعما كان ممّا احتويته بعلم خاص.

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق، بأكثر ممّا أنت لاقيه»[٢].

---

(١) نظام الحكم، باقر القرشي: ٢٢٠.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١: ١٨٦.

٢ ـ ذكر الطبري: أنّ عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، والي يزيد على المدينة آنذاك، بعث بجماعة من أهل المدينة إلى يزيد، وفيهم عبد الله بن حنظلة والمنذر بن الزبير وآخرون من أشراف المدينة.

فقدموا على يزيد، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، ثم رجعوا إلى المدينة وهم على رأي واحد، فقالوا:

«إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحراب والفتيان، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس»[١].

٣ ـ ويقول الشوكاني في رده على بعض وعاظ السلاطين: «لقد أفرط بعض أهل العلم، فحكموا بأنّ الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ على الخمير السكير، الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة، يزيد بن معاوية لعنهم الله، فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود»[٢].

هذا بعض ما قيل في يزيد بن معاوية، بل ذهب بعض العلماء إلى كفره، والتشكيك في إيمانه، وجواز لعنه.

«وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم: القاضي أبو يعلى، والحافظ ابن الجوزي، والتفتازاني، والسيوطي»[٣].

وقال التفتازاني: «الحق إن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره به، وأهانته أهل بيت النبي، ممّا تواتر معناه، وإن كان تفاصيله آحاد، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٨.

(٢) نيل الأوطار ٧: ١٤٧.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ١٠.

إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه[١].

وقد بلغت الوقاحة والاستهتار بيزيد إلى درجة لا يتصورها إنسان، وذلك أنّ معاوية أرسله إلى الحج في حياته، فلما بلغ يزيد المدينة المنورة، جلس على مائدة الخمر، فاستأذن عليه ابن عباس، فأذن له، وكان مكفوف البصر، فقيل له: إنّ ابن عباس إن وجد ريح الشراب عرفه، فحجبه عنه»[٢]. إلى ما هنالك من عشرات أقوال الصحابة والتابعين والعلماء، في يزيد بن معاوية، ولو توسعنا لاحتجنا إلى مجلدات.

وبعد هذا العرض، فهل يجد إنسان ما في يزيد أهلية الخلافة؟

اللّهم إلاّ بعض الحاقدين من أعوان السلطان وتجار المادة، الذين لا يخلو زمان ومكان منهم.

إنّ جميع ما تقدم، هو نزر يسير ممّا فعله يزيد بن معاوية، وما ارتكبه الحكم الأموي، من هتك حرمة الإسلام، والتعدي على الشريعة المقدسة، وتقويض أركانها، ومن ثم الإجهاض عليها من جذورها[٣].

فلم تجد منقذاً ولا مخلصاً لها، إلاّ الحسين عليه السلام ابن بنت صاحب الرسالة، فقام عليه السلام مغيثاً لها بثورته المقدسة، في اليوم العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية، وأنقذها من الحكم الأموي الجائر قائلا:

«فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما».

وقد أبدع في تصوير هذا الموقف الشاعر، حينما يرثي الحسين عليه السلام في قصيدة طويلة، تضم عشرات الأبيات منها:

---

(١) شرح العقائد النسفية: ١٨١، طبع الأستانة.

(٢) الكامل، ابن الأثير ٣: ٤١٧.

(٣) انظر تفصيل الجرائم الأموية في كتابنا (الوثائق الرسمية لنتائج ثورة الحسين (عليه السلام) القسم الثاني) لم يطبع حتى الآن.

يـوم بحاميـة الإسـلام قـد نهـضت ... بـه حميـة ديـن الله إذ تركـا
رأى بـأنّ سـبيل الغـي متبـع ... والرشـد لم تـدرِ قـوم أيـه سـلكا
والنـاس عـادت إلـيهم جـاهليتهم ... كـأنّ مـن شـرع الإسـلام قـد أفكـا
وقـد تحكـم بالإيمـان طاغيـة ... يمـسي ويـصبح بالفحـشاء منهمكـا
لم أدرِ أيـن رجـال المـسلمين مـضوا ... وكيـف صـار يزيـد بيـنهم ملكـا
العاصـر الخمـر مـن لـؤم بعنـصره ... ومـن خـساسة طبـع يعـصر الودكـا
أم كيـف يـسلم مـن شـرك ووالـده ... مـا نزهـت حملـه هنـد عـن الـشركا
لإن جـرت لفظـة التوحيـد في فمـه ... فـسيفه بـسوى التوحيـد مـا فتكـا
قـد أصـبح الـدين منـه شـاكياً سـقماً ... ومـا إلى أحـد غـير الحـسين شـكا
فمـا رأى الـسبط للـدين الحنيـف شـفاً ... إلاّ إذا دمـه في نـصره سـفكا
ومـا سمعنـا علـيلا لا عـلاج لـه ... إلاّ بـنفس مداويـه إذا هلكـا
بقتلـه فـاح للإسـلام طيـب هـدى ... فكلمـا ذكرتـه المـسلمون ذكـا[1]

هل انتصر الحسين؟ ولمن النصر؟

الإمام الحسين عليه السلام إنسان عقائدي، وصاحب مبدأ، وحامل رسالة. والإنسان الذي يتصف بهذه الصفة، هو إنسان فدائي لعقيدته ومبدئه ورسالته، ويكون لديه الاستعداد الكامل للتضحية والبذل والفداء.

فهو لا يفكر في البقاء والحياة، إلاّ إذا كانت الحياة تكسب نصراً لعقيدته ورسالته، وإذا كان الموت والفداء يحققان النصر للمعتقد وللهدف المنشود، فالموت لديه أفضل من الحياة، التي لا تقدم نصراً للعقيدة والرسالة.

وهذا المفهوم تجسد في الحسين عليه السلام، والحسين تجسد فيه، فهو سبط الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي عرض عليه المشركون الدنيا

---

(١) انظر ديوان سحر بابل وسجع البلابل، السيد جعفر الحلّي: ٣٥٠.

بأبعادها، قائلين لأبي طالب، عمّه وناصره ومؤمن قريش:

قل لابن أخيك: إن كان يريد مالا أعطيناه مالا لم يكن لأحد من قريش، وإن كان يريد ملكاً توجناه على العرب... الخ.

فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بمقالة القوم، فاستعبر النبيّ قائلا:

«يا عمّاه! لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته»[1].

وهذا أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام الفدائي الأول للإسلام، ولنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل الحروب والمواطن.

وهذا عمه حمزة سيد الشهداء، وهذا أيضاً عمه جعفر الطيار رضوان الله عليهما، نصروا الإسلام بكل ما يملكون، فالموت في مفهوم هؤلاء الأبرار الشهداء حياة إذا نصروا المبدأ والعقيدة، والحياة ممات إذا كانت بلا هدف ولا عقيدة.

فالحسين عليه السلام ينطلق من مفهوم جدّه وأبيه وأعمامه الخيرين، فرأى لابد أن يمزق الخناق، الذي فرضه يزيد على الإسلام، ويغذي شجرة الشريعة، التي كادت أن تنضب وتجف في ظل الحكم الأموي، وإن كان ذلك يسبب له إزهاق الأرواح، وقتل الأنفس، وجريان الدماء على وجه الأرض؛ لترتوي الغصون الذابلة للشجرة الإسلامية، من هذه الدماء الزكية، دم الحسين وأهل بيته وأنصاره.

ولأنّه أيضاً جهاد في سبيل الله ونصرة دينه، فاستجاب أبو الفداء الحسين لذلك، ووقف في صبيحة عاشوراء، يقدم فتيانه من آله وأنصاره، ضحية بعد ضحية، وقرباناً بعد قربان قائلا:

---

(١) انظر تاريخ الكامل، ابن الأثير ٢: ٤٣.

«اللّهمّ إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى».

ولأنّه يرى أنّ النصر لا يتم إلاّ بهذه القرابين، وبهذه الضحايا.

وأخيراً نرى الإمام الحسين انتصر على عدوه، بعد استشهاده من ناحيتين:

الناحية الأولى

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت العامل الرئيسي، الذي لعب دوراً هاماً في كشف أباطيل الحكام، المنحرفين عن الخط الإسلامي السليم، وانتزاع السلطة التشريعية من أيديهم، بعد أن كان الخليفة يحكم ويشرع كما يحب ويرغب، وفق ميوله وأهوائه، فيحرّم ما أحلّه الله ورسوله، ويحلل ما حرم الله ورسوله.

فالإمام الحسين عليه السلام استطاع بثورته الخالدة، أن ينتزع تلكم السلطة من يد الخليفة المنحرف، بأفكاره وسلوكه آنذاك، وأفهم الرأي العام الإسلامي، بأنّ الخليفة ليس له حق في تشريع أي حكم، وإنّما التشريع منحصر في الكتاب والسنة، وما يؤدي إليهما، كما قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[١].

ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لرأينا كثيراً من الأحكام الإسلامية قد غيرت وبدلت، كما هو الحال في المسيحية وتحريف ديانتها.

ولكن الله تعالى حيث قد ضمن حفظ التشريع الإسلامي من الانحراف والضياع، بقوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣): ٣٦.

(٢) سورة الحجر (١٥): ٩.

ولهذا ثار الحسين؛ ليضع حداً للتلاعب بأحكام الشريعة الإسلامية الغرّاء، من قبل المستهترين والحاقدين، وبهذا انتصر الإمام الحسين بثورته المباركة.

الناحية الثانية

إنّه قد يتبادر لذهن القارئ، كيف انتصر الإمام الحسين عليه السلام، مع أنّه قتل؟ والجواب: قد يكون غريباً وغير مألوف لذهن السائل؛ لأنّه على خلاف المفهوم المادي للنصر، ولكن نقول: هناك معركة بين إرادتين:

١ ـ الإرادة الحسينية

وهي التي لم تملك إلاّ اليسير من العدة والعدد، مع الالتزام الكامل بالوسائل التي أباحها الإسلام.

٢ ـ الإرادة الأموية

وهي التي تتمتع بالملك والسيطرة والمال والكثرة في العدد والعدة، مع إباحة جميع وسائل الإغراء والتمويه والتضليل؛ لأنّها تبرر وسائلها بغايتها، والغاية تبرر الوسيلة.

واصطدمت الإرادتان في مواقف عديدة، فلم تفلح الإرادة الأموية بنجاح، واستعملت كل طاقاتها وإمكانياتها؛ لكي تثني الإرادة الحسينية عن المضي والاستمرار في هدفها وغايتها. ولكنها منيت بالفشل والخسران والهزيمة.

وبقيت الإرادة الحسينية صامدة أمام تحديات الإرادة الأموية، ولكن الإرادة الأموية جاءت لتجبر هزيمتها وخسارتها، فاستعملت سلاحها وقوتها، بكل حقد وضعة ووحشية، فقتلت الرجال ومثلت بهم، حقداً وتشفياً.

ومع هذا كله بقيت إرادة الحسين وشهدائه حية صامدة تهزأ بالعرش الأموي وجبروته، وتضعضع أركانه بين حين وآخر، حتى قضت على معنويته ووجوده وإرادته.

وهكذا كان النصر والفتح للحسين، كما تنبأ هو عليه السلام في كتابه إلى بني هاشم قائلا:

«أما بعد: فإنّه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام»[1].

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2].

وأخيراً يا سيدي يا أبا عبد الله! سلام الله عليك يوم ولدت، ويوم استشهدت من أجل الحق، ويوم تبعث حياً، وسلام الله على المستشهدين بين يديك من أهلك وأصحابك.

---

(١) انظر الوثيقة رقم ١٨ من هذا الكتاب.

(٢) سورة البقرة (٢): ١٥٤.

رسائل وكتب متبادلة بين معاوية

والإمام الحسين عليه السلام

١ ـ جواسيس الأمويين على الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام له شخصية جذابة، ومقام شامخ في وجدان الأمة الإسلامية، ولهذا كانت الشخصيات والوفود في العالم الإسلامي تفد عليه، وتنهل من فيض علمه؛ لأنّه سبط الرسول وريحانته ووريث علمه، ممّا أوجب حقد السلطة الأموية عليه، والخوف منه ومن نشاطه. ولهذا رفعت التقارير السرية، من قبل عيون وجواسيس معاوية في المدينة المنورة، حول الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية في الشام.

تقرير مروان بن الحكم إلى معاوية

ومن جملة العيون والجواسيس التي عيّنها معاوية لمراقبة الإمام الحسين عليه السلام هو مروان بن الحكم، وكان عامل معاوية على المدينة، فكتب إليه هذا التقرير:

«أما بعد: فإن عمرو بن عثمان ذكر: أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز، يختلفون إلى الحسين بن علي. وذكر أنّه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك، فبلغني أنه لا يريد الخلافة يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لمن بعده، فاكتب إليّ برأيك في هذا والسلام»[١].

---

(١) انظر ناسخ التواريخ م٦ ج١ ص٢٥٤.

جواب معاوية لمروان

فلما وصل هذا التقرير لمعاوية كتب إليه ما يلي:

«أما بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين عليه السلام، فإياك أن تتعرض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك، فإنّا لا نريد أن نتعرض له في شيء ما وفى ببيعتنا، ولم ينازعنا سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته، والسلام»(١).

٢ ـ رسالة معاوية إلى الإمام الحسين

ثم إنّ معاوية كتب رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام، يحذره فيها من الخروج عن طاعته وهذه نصها:

«أما بعد: فقد انتهت إليّ أمور عنك، إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إنّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن كان الذي بلغني عنك باطلاً، فإنك أعزل الناس لذلك وعظ نفسك، فاذكر وبعهد الله أوف، فإنك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة، وأن يوردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمّد، ولا يستخفنك السفهاء الذين لا يعلمون»(٢).

٣ ـ جواب الإمام الحسين لمعاوية

ولّما وصل كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى الإمام الحسين عليه السلام، أجابه الإمام بجواب لاذع، يكشف فيه اعمال معاوية المنافية للإسلام وتعاليمه، وإليك نصّه:

«أما بعد: فقد بلغني كتابك، تذكر أنّه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب،

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ٢٥٥.

وأنا بغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلاّ الله.

وأمّا ما ذكرت أنّه انتهى إليك عني، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاقون المشاءون بالنميم، وما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وايم الله إنّي لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الأعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألستَ القاتل حجراً أخا كندة، والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يَخافُونَ في الله لَوْمَةَ لائِمٍ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك.

أولستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفر لونه، بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأةً على ربك، واستخفافاً بذلك العهد.

أولستَ المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

فتركت سنة رسول الله تعمداً، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلّطته على العراقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك.

أولستَ صاحب الحضرميين، الذين كتب فيهم ابن سمية: أنّهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه، فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على

دين علي، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام واللهِ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلستَ مجلسك الذي جلستَ، ولولا ذلك لكان شرفك، وشرف أبيك الرحلتين.

وقلت فيما قلت: «انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمّد، واتقِ شق عصا هذه الأمة، وأن تردهم إلى فتنة» وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم علينا، أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلتُ فإنّه قربة إلى الله، وإن تركتُه فإني استغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: «إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكدني»، فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنّك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيتَ بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر، الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقّنا، فقتلتهم مخافة أمر، لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فابشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتابا؛ ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾(١).

وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهمة، ونفيك أولياءه من

---

(١) سورة الكهف (١٨): ٤٩.

دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حَدَث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلاّ وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم، والسلام»[١].

٤ ـ رسالة معاوية الثانية للإمام الحسين عليه السلام

جواسيس معاوية وعيونه، يرفعون التقارير إلى معاوية، حول الإمام الحسين واتصالات الناس به، واجتماعه معهم، ممّا يزيد في غيظ معاوية وحقده على الإمام الحسين عليه السلام، فبعث للإمام بهذه الرسالة:

«إنّ من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبئت أنّ قوماً من أهل الكوفة، قد دعوك إلى الشقاق!! وأهل العراق مَن قد جربت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتق الله، واذكر الميثاق، فإنك متى تكدني أكدك، وإني لأظنّ أنّ في رأسك فروة، فوددت أني أدركتها، فافغرها لك»[٢].

٥ ـ الإمام الحسين يردّ على معاوية

فلمّا وصل كتاب معاوية الثاني إلى الإمام الحسين عليه السلام فتأثر منه وكتب إليه راداً عليه بقوله:

«أتاني كتابك، وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلاّ الله، وما أردت لك محاربة، ولا عليك خلافاً، وما أظن أنّ لي عند الله عذراً في

---

(١) انظر ناسخ التواريخ م٦ ج١ ص٢٥٧ ٢٥٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٩٧، دعائم الإسلام ٢: ٤٦٨/١٣٣، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٥٨، تحقيق منظمة الإعلام الإسلامي.

ترك جهادك!! وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة!!

ثم إنّك وليت عليهم ابنك وهو غلام يشرب الشراب، ويلهو بالكلاب، فخنت أمانتك، وأخربت رعيتك، ولم تؤدّ نصيحة ربك، فكيف تولّي على أمة محمّد مَن يشرب المسكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الأشرار، وليس شارب المسكر بأمين على درهم، فكيف على الأمة؟! فعن قليل ترد على عملك، حين تطوى صحائف الاستغفار»[1].

٦ - الاجتماع الأول بين معاوية والحسين وعبد الله بن عباس في المدينة

المدينة المنورة تشهد اجتماعاً بين معاوية، والإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس، حينما جاء معاوية إلى المدينة؛ لأخذ البيعة لولده يزيد، واجتمع مع الإمام الحسين وابن عباس، وذكر فضائل ولده، وطلب منهما البيعة له، فأراد ابن عباس ردّه، فأشار الإمام الحسين إليه قائلا:

«على رسلك، فأنا المراد، ونصيبي في التهمة أوفر».

فامسك بن عباس، فقام الإمام الحسين راداً عليه، وبعد أن حمد الله وصلّى على رسوله، قال:

«أمّا بعد: يا معاوية! فلن يؤدّي القائل وإن أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزءاً، وقد فهمتُ ما لبستَ به الخلف بعد رسول الله، من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة، وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبحُ فحمةَ الدجى، وبهرت الشمس أنوار السُرج، ولقد فضلتَ حتى

---

(١) تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٩٧، دعائم الإسلام ٢: ٤٦٨/١٣٣، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٥٨، تحقيق منظمة الإعلام الإسلامي.

أفرطتَ، واستأثرتَ حتى أجحفت، ومنعتَ حتى بخلتَ، وجِرتَ حتى جاوزتَ، ما بذلت لذي حق من أتمّ حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل.

وفهمتُ ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائبا، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على مواقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق، بأكثر ممّا أنت لاقيه.

فوالله ما برحت تقدر باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأتَ الأسقية، وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص.

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولادةً، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، ورده الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية! من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأميره له، وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري، فكيف يُحتج بالمنسوخ من فعل الرسول، في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابع، وحولك من لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرابته؟ وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، إن هذا لهو الخسران المبين، واستغفر الله لي ولكم»(١).

٧ ـ الاجتماع الثاني بين معاوية والإمام الحسين في مكة المكرمة

أخذ معاوية يمهد الجو لخلافة ولده يزيد، وأخذ البيعة له عن طريق الإغراء والإكراه، وجاء إلى مكة المكرمة لهذا الغرض، واجتمع اجتماعاً خاصاً مع الإمام الحسين عليه السلام، قائلا له:

«يا أبا عبد الله! اعلم أني ما تركت بلداً إلاّ وقد بعثت إلى أهله، فأخذت عليهم البيعة ليزيد، وإنّما أخّرت المدينة؛ لأني قلت هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه، ثم إني بعثت إلى المدينة بعد ذلك، فأبى بيعته من لا أعلم أحداً هو أشد بها منهم، ولو علمت أن لأمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم خيرمن ولدي يزيد لما بعثت له».

فقال له الحسين عليه السلام:

«مهلا يا معاوية! لا تقل هكذا. أنا والله أحقّ بها منه، فإنّ أبي خيرٌ من أبيه، وجدّي خير من جدّه، وأمي خير من أُمه، وأنا خير منه».

فقال معاوية: «أمّا ما ذكرت أنّ جدك خير من جدّه فصدقت، رسول الله صلى

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨٦، أعيان الشيعة ١: ٥٨٣، الغدير ١٠: ٢٤٨، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٨.

الله عليه وآله وسلم خير من أبي سفيان. وأما ما ذكرت أن أمك خير من أمه فصدقت، فاطمة بنت رسول الله خير من بنت بحدل. وأمّا ما ذكرت أن أباك خير من أبيه، فله سابقة وفضل وقرابة من الرسول، ليست لغيره من الناس. ولكن قارع أبوك أباه، فقضى الله لأبيه على أبيك. وأمّا ما ذكرت أنك خير منه، فهو والله خير لأمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم منك».

فقال الحسين عليه السلام:

«مَن خير لأمّة محمّد؟ يزيد الخمور والفجور»؟!

فقال معاوية: «مهلا أبا عبد الله! فإنك لو ذُكرتَ عنده، لما ذَكر منك إلاّ حسناً».

فقال الحسين عليه السلام:

«إنْ علم منّي ما أعلمه منه أنا، فليقل فيّ ما أقول فيه».

فقال له معاوية مهدداً: «أبا عبد الله! انصرف إلى أهلك راشداً، واتق الله في نفسك، واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعتُه، فإنّهم أعداؤك وأعداء أبيك».

فانصرف الحسين عليه السلام إلى منزله[1].

٨ ـ بين معاوية وواليه على المدينة سعيد بن العاص

عزل معاوية مروان بن الحكم من ولايته على المدينة المنورة، واستبدل به سعيد بن العاص؛ لكي يحكّم البيعة لولده يزيد، وإجبار شخصيات أهل المدينة على ذلك.

وبعد أن استلم الولاية على المدينة، كتب إلى معاوية هذه الرسالة: «أما بعد: فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء، لاسيما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم

(١) أنظر مجمل ذلك في كتاب الإمامة والسياسة ١: ١٨٩، والغدير ١٠: ٢٥٠، ومجمع الزوائد ٥: ١٩٨.

يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأمّا الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلاّ بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام»[1].

٩ ـ معاوية يخدع ويمكر

اجتمع معاوية في مكة المكرمة مع المعارضين لبيعة ولده يزيد وهم الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن ابن أبي بكر. فهددهم وأنذرهم بالقتل، وجعل على رأس كل واحد منهم رجلين من حراسه يحملان السيف، قائلا: إن تكلموا هؤلاء بكلمة أو تعقيباً على كلامه، فاضربوا أعناقهم جميعاً، ثم قال معاوية للحسين والنفر المعارض معه:

«فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم، إنّه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم، فيقوم إليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحتمل ذلك وأصفح، وإني قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها، حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلاّ على نفسه».

حراس معاوية يمتثلون أوامره

ثم تكلّم حراس معاوية بعد أن وضعوا أيديهم على سيوفهم، قائلين له:

«يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي تعظمه من أمر هؤلاء الأربعة؟ ائذن لنا أن نضرب أعناقهم، فإنّا لا نرضى أن يبايعوا سرّاً، ولكن يبايعوا جهراً، حتى يسمع الناس أجمعون».

فأجابهم معاوية قائلا: سبحان الله! ما أسرع الناس بالشر، وما أحلى بقاءهم عندهم! اتقوا الله يا أهل الشام، ولا تسرعوا إلى الفتنة، فإنّ القتل له مطالبة وقصاص.

---

(١) الغدير ١٠: ٢٣٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٥٢.

معاوية يخطب أمام الناس مخادعاً

ثم إنّ معاوية قام ورقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبتز أمر دونهم، ولا يُقضى إلاّ عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله». فبايع الناس، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى الشام.

وجاء أهل مكة إلى هؤلاء الأربعة وقالوا لهم: لماذا رضيتم وبايعتم؟

فأجابهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«لا والله ما بايعنا! ولكنّ معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به».

ثم صعد المنبر وتكلم بكلام:

«وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعاً، ولا ندري إلى ما يؤول أمرنا، فهذه قصتنا معه»[1].

١٠ ـ الإمام الحسين يمهد لثورته في أيام معاوية

في سنة ٥٧ هجرية أعلن معاوية ولاية العهد لولده، وأخذ البيعة له، وأراد بهذا الإعلان أن يمهد لإمبراطورية أموية لأسرته وعشيرته، ممّا حدى بالمؤمنين الملتزمين بخط الشريعة الإسلامية أن يعلنوا معارضتهم لهذا التعيين والتنصيب. وفي طليعتهم الإمام الحسين عليه السلام، فأخذ يمهد الجو للمعارضة بمختلف الطرق السلمية وغيرها، فجاء إلى مكة؛ لأداء فريضة العمرة والحج، وعقد مؤتمراً عاماً في منى، وحضره ما يقارب ألف نفر، وكان هذا الجمع يمثل كافة الطبقات، من صحابة رسول الله، والتابعين، ومن بني هاشم، وشيعته، ومواليه.

---

(١) الفتوح، ابن اعتم ٤: ٣٤٨، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٦٩.

فقام عليه السلام خطيباً فيهم، معلناً جرائم الحكم الأموي المغاير للكتاب والسنة، وفي نفس الوقت مبيناً فضائله وفضائل أهل البيت (عليهم السلام)، وأحقيتهم بالحكم والخلافة وإليك نصه:

«أما بعد: فإنّ هذا الطاغية، قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم. وإني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من آمنتموه ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون».

قال سُليم: فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكرهم أن قال:

«أنشدكم الله أتعلمون أنّ علي بن أبي طالب كان أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين آخى بين أصحابه، فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثم ابتنى فيه عشرة منازل تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثم سدّ كل باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلم في ذلك من تكلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره، ومنزله في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله فيه أولاد؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أفتعلمون أن عمر بن الخطاب حرض على كوة قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد، فأبى عليه، ثم خطب صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصبه يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟

قالوا: اللهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأنت ولي كل مؤمن بعدي؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة، لم يأت إلاّ به وبصاحبته وابنيه؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أنشدكم الله أتعلمون أنه دفع إليه اللواء يوم خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، كرّار غير فرّار، يفتحها الله على يديه؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ببراءة، وقال: لا يبلّغ عني إلاّ أنا أو رجل مني؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنزل به شدة قط إلاّ قدّمه لها، ثقة به، وأنّه لم يدعه باسمه قط إلاّ أن يقول: يا أخي، وادعوا لي أخي؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بينه وبين جعفر وزيد، فقال له: يا علي أنت مني وأنا منك، وأنت وليّ كل مؤمن بعدي؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أنه كانت له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم خلوة، وكل ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلّه على جعفر وحمزة، حين قال لفاطمة (عليها السلام): زوجتك خيرأهل بيتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علما؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا سيد ولد آدم، وأخي علي سيد العرب، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وابناي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بغسله، وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟

قالوا: اللّهم نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخر خطبة خطبها: إني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلوا؟

قالوا: اللّهم نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة، وفي أهل بيته، من القرآن وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ ناشدهم فيه، فيقول الصحابة: اللّهم نعم، قد سمعنا. ويقول التابعي: اللّهم قد حدثنيه من أثق به فلان وفلان.

ثم ناشدهم: أنهم قد سمعوه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

من زعم أنّه يحبني ويبغض علياً فقد كذب، ليس يحبني وهو يبغض علياً، فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: لأنه مني وأنا منه، من أحبه فقد أحبني، ومَن أحبني فقد أحب الله، ومَن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله.

فقالوا: اللّهم نعم، قد سمعنا. وتفرقوا على ذلك»[1].

١١ ـ بين يزيد بن معاوية وواليه على المدينة

فلما امتنع الحسين عن مبايعة يزيد بن معاوية، كتب واليه على المدينة، الوليد بن عتبة، كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين، من الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. أما بعد: فإنّ الحسين بن علي ليس يرى لك خلافةً ولا بيعة، فما رأيك في أمره، والسلام».

فلمّا وصل الكتاب إلى يزيد بن معاوية، أرسل إليه جوابه: «أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا، فعجّل عليّ بجوابه، وبيّن لي في كتابك كلّ مَن في طاعتي، أو خرج عنها، ولكن مع الجواب رأس الحسين بن علي، والسلام»[2].

---

(١) انظر ناسخ التواريخ م٦، ج١، ص١١ ـ ١٢، الغدير ١: ١٩٨، وكتاب سليم بن قيس: ٦.

(٢) ناسخ التواريخ م٦، ج١، ص٣٩١.

الإمام الحسين يعلن معارضته

للحكم الأموي

١٢ ـ إعلان الحسين لثورته

وهو أول بيان للحسين عليه السلام للثورة على يزيد بن معاوية، وذلك عندما طلب منه والي يزيد على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مبايعة يزيد بالخلافة، بعد هلاك معاوية، فقال له الحسين عليه السلام:

«أيها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»[1].

١٣ ـ بين مروان ووالي يزيد

لما أبى الحسين عليه السلام مبايعة يزيد، قال مروان للوليد احبس حسيناً، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين عليه السلام قائلا:

«يابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله وأثمت».

ثم خرج عليه السلام.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٢٣.

فقال مروان للوليد: «عصيتني، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً».

فقال الوليد: «ويخ غيري يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه، من مال الدنيا وملكها، وإني قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال لا أبايع! والله إني لا أظنّ امرءاً يحاسب بدم حسين؛ لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، ولا ينظر الله إليه، ولا يزكيه، وله عذابٌ أليم»[1].

١٤ ـ مروان بن الحكم والحسين عليه السلام

ولّما كان اليوم الثاني، واجه مروان الحسين عليه السلام في الطريق، وقال لأبي عبد الله: إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد. فقال الحسين عليه السلام:

«وما ذاك، قل حتى أسمع».

فقال مروان: أرشدك لبيعة يزيد بن معاوية، فإنّها خير لك في دينك وفي دنياك. قال: فاسترجع الحسين عليه السلام وقال:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ثم قال: يا مروان! أترشدني لبيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق؟ لقد قلت شططاً من القول وزللا، ولا ألومك، فإنك اللعين الذي لعنك رسول الله، وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومَن لعنه رسول الله، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنّي يا عدوّ الله، فإنّا أهل بيت رسول الله، الحق فينا ينطق على ألستنا، وقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء».

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٢.

وقال:

«فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه».

قال عليه السلام:

ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله، فلم يفعلوا به ما أُمروا، فابتلاهم بابنه يزيد»[1] الحديث.

١٥ ـ الإمام الحسين عليه السلام يودع قبر جدّه رسول الله

قبل أن يهمّ بالخروج من المدينة، ذهب الإمام الحسين عليه السلام لوداع قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانحنى على القبر باكياً، فأخذته خفقة نوم، وإذا بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه في عالم الرؤيا، قائلا له:

«حبيبي يا حسين! كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة. حبيبي يا حسين! إنّ أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ، وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنان لدرجات، لن تنالها إلاّ بالشهادة».

فأجابه الحسين في عالم الرؤيا أيضاً قائلا:

«يا جدّاه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك، وأدخلني معك في قبرك».

---

(١) أخرج الخطيب موفق بن أحمد المالكي الخوارزمي الحنفي في كتابه مقتل الحسين ١: ١٨٤، طبع النجف الأشرف، ١٣٦٧ هـ، وناسخ التواريخ، م٦، ج١، ص٣٨٧، وكتاب المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة: ٣٠٤.

فقال له رسول الله:

«لابد لك من الرجوع إلى الدنيا؛ حتى تُرزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة»[1].

١٦ ـ خروج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة

وكان خروجه عليه السلام من المدينة ليلة الأحد، ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠هـ[2].

فإنّه عليه السلام جاء إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى ركعات، وقال:

«اللّهم هذا قبر نبيك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت.

اللّهم إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه، إلاّ ما اخترت لي ما هو لك رضا، ولرسولك رضا».

وفي حديث عمّار، أنّه قال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد خرجتُ من جوارك كرهاً، وفُرق بيني وبينك، وأُخذت قهراً أن أبايع يزيد، شارب الخمور، وراكب الفجور، وإن فعلت كفرت، وإن أبيت قُتلت. فها أنا خارج من جوارك كرهاً، فعليك مني السلام يا رسول الله»[3].

(١) انظر ناسخ التواريخ م٦، ج٢، ص٤ و٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٢٠.

(٣) مقتل أبي مخنف: ١٥.

١٧ ـ وصية الحسين عليه السلام

وكتب عليه السلام وصية إلى أخيه محمّد بن الحنفية:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفية: أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق.

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾.

وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومَن ردّ عليّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ، وهذه وصيتي يا أخي إليك.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾»[١].

وختمها بخاتمه الشريف.

١٨ ـ كتاب الحسين عليه السلام إلى بني هاشم

ولّما سار الحسين عليه السلام بإخوته، وبني أخيه، وجلّ أهل بيته إلى مكة، وجّه كتاباً إلى بني هاشم، هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى بني هاشم، أما بعد: فإنّه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام»[٢].

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠. مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ١: ٨٨، الفصل التاسع.

(٢) انظر عبرة المؤمنين، جواد شبر: ١٧.

١٩ ـ دخول الحسين عليه السلام إلى مكة

لّما خرج الإمام عليه السلام من المدينة سلك الطريق الأعظم، فقيل له: لو تنكبت عن الطريق الأعظم، كما فعل ابن الزبير، فقال:

«لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض».

ثم تلى قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

ودخل مكة وهو يتلو:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢].

فوصل إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، وأقام عليه السلام باقي شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة، وثمان ليالي من ذي الحجة[٣].

٢٠ ـ الحسين مع عبد الله بن عباس

ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام اجتمع في مكة المكرمة مع عبد الله بن عباس، حينما طلب منه عدم الخروج، فقال له الحسين عليه السلام:

«هل أنا أبايع يزيد وادخل في صلحه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أبيه ما قال»؟!

فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله! قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته:

---

(١) سورة القصص (٢٨): ٢١.

(٢) سورة القصص (٢٨): ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٦١.

«ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين. والذي نفسي بيده، لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه، إلاّ خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم»!

وبكى ابن عباس والحسين عليه السلام، والتفت إليه قائلا:

«يابن عباس! أتعلم أني ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»؟

فقال ابن عباس: «اللّهم نعم، نعلم ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيرك، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة، كفريضة الصلاة والزكاة، التي لا تقبل أحداهما دون الأخرى». فقال الحسين عليه السلام:

«يابن عباس! ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داره، وقراره، ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله، وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يغيّر عما كان عليه رسول الله»؟!

فأجابه ابن عباس مصدقاً قوله وكلامه بقوله: «ما أقول فيهم؟! إلاّ أنهم كفروا بالله ورسوله، ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى، يراءون الناس، ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً، مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً، وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى. وأمّا أنت يابن بنت رسول الله! فإنك رأس الفخار برسول الله، فلا تظن يابن بنت رسول الله أن الله غافل عمّا يعمل الظالمون. وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك، وطمع في محاربتك، ومحاربة نبيك محمّد، فما له من خلاق».

ثم إن عبد الله بن عباس أبدى استعداده لمناصرة الحسين عليه السلام قائلا: «جعلت فداك يابن بنت رسول الله! كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك!

والله الذي لا إله إلاّ هو، إن لو ضربت بين يديك بسيفي هذا بيدي حتى انخلعا جميعاً من كفي، لما كنت ممّن أوفى من حقك عشر العشر، وها أنا بين يديك مرني بأمرك».

وصية الحسين عليه السلام لابن عباس

وأقبل الحسين عليه السلام على ابن عباس، فعهد إليه بهذه الوصية قائلا:

«وأنت يابن عباس ابن عم أبي، لم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستنصحك ويستشيرك، وتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله، ولا تخفِ عليّ شيئاً من أخبارك، فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم به، ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني، استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم ألقي في النار:

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

فكانت النار عليه برداً وسلاماً»[١].

٢١ ـ كتب ورسل أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام

ولّما وصل إلى أهل الكوفة نبأ هلاك معاوية، ومعارضة الإمام الحسين عليه السلام لحكم يزيد، ومجيئه إلى مكة. اجتمع نفر منهم في دار سليمان بن صرد الخزاعي[٢]، ولّما استقر بهم المجلس، قام سليمان فيهم خطيباً، وقال في آخر خطبته:

«يا معشر الشيعة! إنكم قد علمتم بأن معاوية قد هلك، وصار إلى ربه، وقدم على عمله، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد. وهذا الحسين بن علي عليهما السلام قد

(١) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ١: ١٩٣، حياة الإمام الحسين ٢: ٣١٩ ـ ٣٢١.

(٢) نفس المصدر.

خالفه، وصار إلى مكة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه»[١].

قال المجتمعون: بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه. ثم أرسلوا وفداً منهم: أبو عبد الله الجدلي، يحمل كتاباً إلى الحسين عليه السلام وهذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي عليهما السلام، من سليمان بن صرد والمسيب بن نجية ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب ابن مظاهر وشيعته من المؤمنين المسلمين، سلام عليك.

أمّا بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك، من قِبل الجبار، العنيد الغشوم الظلوم، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

وإنه ليس علينا إمام غيرك، فأقبِل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت أخرجناه، حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبيك من قبلك، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم»[٢]. فوصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام لعشر من شهر رمضان وهو في مكة.

---

(١) مقتل الحسين، محسن الأمين: ٣٠، تاريخ الطبري ٤: ٢٦١.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٣٠، تاريخ الطبري ٤: ٢٦٢.

ثم بعثوا إليه كتباً أخرى بيد هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وهذا نصّها: «بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علي عليهما السلام، من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد: فحيهلا، فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل والسلام»[١].

ثم أرسل معهما شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمّد بن عمير التميمي، كتاباً أيضاً إلى الحسين وهذا نصّه:

«أمّا بعد: فقد أخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمث الجمام. فإذا شئت فأقدم على جند لك مجندة. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبل»[٢].

ثم توالت الكتب والرسائل على الحسين عليه السلام، حتى بلغت اثنا عشر ألف كتاب.

٢٢ ـ جواب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة

والإمام عليه السلام لم يجب على تلكم الرسائل والكتب، التي وصلته، إلاّ بعد أن صلى ركعتين بين الركن والمقام، وسأل الله الخيرة في ذلك، ثم كتب كتاباً إلى أهل الكوفة، وهو جواب على كتبهم، وأرسله مع هاني بن عروة وسعيد بن عبد الله، وهذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين!

أما بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدِم علي

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٢، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٣١.

(٢) نفس المصدر.

من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم: أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

وأنا باعث إليكم أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي، مسلم ابن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ بأنه قد اجمع رأي ملئكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام»[1].

وقيل: ثم نادى مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه[2].

٢٣ ـ كتاب مسلم إلى الحسين عليه السلام

ولّما وصل مسلم عليه السلام الكوفة، نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وأقبل الناس يختلفون إليه بالبيعة للحسين عليه السلام، جماعة جماعة، وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون، ثم قام عابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله عليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد: فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عمّا أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم، حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلاّ ما عند الله».

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٣٣، تاريخ الطبري ٤: ٢٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٣ ٢٦٤.

ثم قام حبيب بن مظاهر رحمة الله عليه وقال:

«رحمك الله، قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك» ثم قال: «وأنا والله الذي لا إله إلاّ هو على مثل ما هذا عليه».

ثم تكلم الحاضرون بمثل ذلك.

ولما رأى مسلم إقبال الناس عليه ومبايعتهم للحسين عليه السلام، كتب كتاباً للحسين عليه السلام يقول فيه:

«أما بعد: فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي.

٢٤ ـ كتاب الحسين عليه السلام إلى رؤوساء الأخماس والأشراف بالبصرة

ثم إنّ الحسين عليه السلام وجه كتاباً آخر إلى رؤوساء البصرة وزعمائها، وأرسله مع مولى له (سليمان) يكنى أبا رزين، أو مع ذراع السدوسي إلى كل من: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود العبدي، وقيس بن الهيثم، ويزيد بن مسعود النهشلي وغيرهم، جاء فيه:

«أما بعد: فإنّ الله اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به صلّى الله عليه وآله وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحق الناس

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨١.

بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحق بذلك الحق، المستحق علينا ممّن تولاّه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ السنة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وأن تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»[1].

٢٥ ـ جواب أهل البصرة للحسين عليه السلام

ولّما وصل الكتاب إلى يزيد بن مسعود النهشلي، جمع قبائل بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، وقال لهم: كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟

فقالوا: بخ بخ، أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطا وتقدمت فيه فرطا.

قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه. فقالوا: إنّا والله نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل حتى نسمع.

فقال رضوان الله عليه: «إنّ معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وكان قد أحدث بيعة، عقد بها أمراً ظن أنّه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل.

وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين، ويتآمر عليهم بغير رضا منهم، مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدميه، فاقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين.

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ١٥٩، تاريخ الطبري ٤: ٢٦٦.

وهذا الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته، وسنه، وقدمه، وقرابته. يعطف على الصغير ويحنوا على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم، وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة.

فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس أنخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته.

والله لا يقصر أحد عن نصرته، إلاّ أورثه الله تعالى الذل في ولده، والقلة في عشيرته. وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدّرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب»[1].

فأجابته بنو حنظلة بقولها: «يا أبا خالد! نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلاّ خضناها، ولا تلقى والله شدة إلاّ لقيناها، ننصرك والله بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت».

ثم تكلم بنو سعد بن يزيد، فقالوا: «يا أبا خالد! إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا رأيه، وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع الرأي ونحسن المشهورة».

فقال يزيد بن مسعود: «والله يا بني سعد! لئن فعلتموها، لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم قالت بنو عامر بن تميم: يا أبا خالد! نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت».

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ١٦١.

٢٦ ـ جواب ابن مسعود إلى الحسين عليه السلام

ثم إنّ يزيد بن مسعود رضوان الله عليه كتب جواباً على رسالة الحسين عليه السلام جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فقد وصل كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها. فاقدم سُعدتَ بأسعد طائر، فقد ذللتُ لك أعناقَ بني تميم، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء؛ لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها، بماء سحابة مزن حين استهل برقها، والسلام»[1].

ووصل كتابه هذا إلى الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من محرم، كما هو المعروف، فقال عليه السلام:

«ما لك آمنك الله يوم الخوف، وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر».

ثم إنّه أراد الخروج لنصرة الحسين عليه السلام، وإذا بالخبر يفاجئه بقتله، فجزع ومات من وقته، رضوان الله عليه.

وأما بقية الزعماء، فإنّ بعضهم أجاب الإمام عليه السلام جواباً بارداً لا خير فيه. وأمّا المنذر بن الجارود، فإنّه سلّم الكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد، فصلب الرسول، وهو أول رسول يقتل في الإسلام[2].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٦.

الحزب الأموي وموقفه من الثورة

لما وصلت أنباء إعلان الإمام الحسين ثورته على الحكم الأموي، إلى كوادر الحزب الأموي، كانت ردود الفعل مختلفة، بحسب وجهات نظر أعضاء الكوادر الحزبية الأموية، وهي في اتجاهين:

الاتجاه الأول

وهو الذي يمثل جانب اللين والفتور؛ لأنّ بعض الكوادر الحزبية الأموية، كانت تمثل الجانب المعتدل في الحزب؛ لأنّها تعلم ـ في قرارة نفسها ـ أنّ يزيد لا يستحق الخلافة وغير جدير بها، ولذا نراها غير متحمسة لحكمه، من أمثال النعمان بن بشير واليه على الكوفة، فإنّه ـ بعد أن سمع بثورة الإمام الحسين ـ قام خطيباً، وخطب خطبة لم ترضِ الحزب الأموي، فقام إليه أحد كوادر الحزب الأموي قائلا:

«إنّه لا يصلح ما ترى إلاّ الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه، فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين».

فأجابه النعمان قائلا: «أن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إليّ من أن أكون من الأعزين في معصية الله»[1].

(١) انظر الوثيقة ٢٧ من هذا الكتاب، تاريخ الطبري ٤: ٢٦٥.

الاتجاه الثاني

وهو الاتجاه المتطرف المتعصب، الذي يسير وراء مصالح الأمويين، وليس لديه أي واقعية أو الإحساس بها، فنرى رد فعله عنيفاً جداً؛ لأنّه اتخذ موقفاً صارماً ضد الثورة، ولهذا نرى هذا الكادر الأموي سارع بالكتابة إلى يزيد بن معاوية، عندما دخل الكوفة رسول الثورة الحسينية مسلم بن عقيل، وأقبل الناس عليه لمبايعة الحسين عليه السلام، ويتزعم هذا الكادر الحزبي الأموي رجل اسمه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي.

٢٧ ـ خطبة النعمان والي يزيد على الكوفة

بلغ ذلك النعمان بن بشير والي يزيد على الكوفة، فجاء إلى المسجد، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك رجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال. إني لم أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا أشاتمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم، أكثر ممّن يرديه الباطل»(١).

فقام إليه أحد أعوان الحزب الأموي، واسمه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، وقال: «إنّه لا يصلح ما ترى إلاّ الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه، فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين».

فأجابه النعمان قائلا: «أن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إليّ من أن أكون من الأعزين في معصية الله».

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٤.

٢٨ ـ رجال الحزب الأموي وخطورة الموقف

فكتب عبد الله بن مسلم الحضرمي كتاباً إلى يزيد بن معاوية جاء فيه: «أما بعد: فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين ابن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة، فابعث إليها رجلا قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف».

ثم كتب آخرون إلى يزيد بن معاوية، كتباً أخرى بهذا المضمون، مثل: عمارة بن عقبة، وعمر بن سعد وغيرهم، من أنصار الحزب الأموي[١].

٢٩ ـ يزيد يعزل النعمان وينصب عبيد الله

وعندما وصلت الكتب إلى يزيد بن معاوية وقرأها وفهم محتواها، دعا سرجون مولى معاوية وأقرأه الكتب، وقال: هذا الحسين قد توجه إلى الكوفة، وهذا مسلم بن عقيل يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيء، فما ترى؟

فقال له سرجون: أرأيت لو نشر معاوية لك، أكنت آخذاً برأيه؟

قال: نعم. فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فإنّه رأي أبيك، فأخذ يزيد بهذا الرأي، وكان عبيد الله والياً على البصرة فضم إليه الكوفة، وبعث إليه بعهده على الكوفة، مع مسلم بن عمرو الباهلي، وكتب إليه كتاباً:

«أمّا بعد: فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبرونني أنّ ابن عقيل بالكوفة، يجمع الجمع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه والسلام»[٢].

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٥.

فأقبل مسلم بن عمرو الباهلي بالعهد والكتاب إلى عبيد الله بن زياد بالبصرة، فلمّا قرأ عبيد الله الكتاب، أمر بالجهاز والتهيء والمسير إلى الكوفة من الغد[١].

ولّما كان الغداة، استخلف أخاه عثمان بن زياد على البصرة، بعد أن خطبهم بالوعد والوعيد. وأقبل إلى الكوفة مسرعاً، لا يلوي على شيء، حتى دخلها ومعه بضعة عشر رجلا، متنكراً بزي أهل الحجاز، فظن الناس أنه الحسين عليه السلام؛ لأنّهم ينتظرون قدومه. فأخذ لا يمر على أحد من الناس إلاّ وسلموا عليه، وقالوا مرحباً بك يابن رسول الله، قدمت خير مقدم، وهو لا يكلمهم، حتى جاء القصر، فسمع النعمان بن بشير فأغلق باب القصر عليه، ولّما انتهى إلى القصر، أطل النعمان بن بشير من بين شرفتي القصر قائلا:

«أنشدك الله إلاّ تنحيت عني، ما أنا بمسلم لك أمانتي، ومالي في قتلك من إرب» ظاناً أنه الحسين عليه السلام، فأزال عبيد الله اللثام عن وجهه، وقال: «افتح، لا فتحت، فقد طال ليلك، وشيدت قصرك، وضيعت مصرك»[٢].

عندها عرف النعمان والناس أنّه عبيد الله بن زياد، ففتح النعمان باب القصر ودخل، ثم نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج إليهم وصعد المنبر.

٣٠ ـ الخطبة الأولى لابن زياد في الكوفة

«فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد: فانّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولاّني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٨.

وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه الصدق ينبي عنك لا الوعيد».

ثم نزل، فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، وقال لهم: «اكتبوا إليّ، الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، وأهل الريب، الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرافته، أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا، طلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وسيّر إلى موضع بعمان الزارة»[١].

اعتقال هاني بن عروة

ثم تطور الموقف عندما اعتقل عبيد الله، هاني بن عروة، وطلب منه أن يسلمه مسلم بن عقيل، فأبى هاني، فضربه عبيد الله بالسياط على وجهه، فسال الدم على لحيته، فتنأول سيفاً بيد أحد أعوان عبيد الله، فأراد أن ينتزعه فلم يستطع، فعندها أمر عبيد الله به أن يغل، ويحبس في غرفة، ويوضع عليها الحرس.

وإذا بجمع مذحج على باب القصر؛ لأنهم سمعوا أنّ عبيد الله يروم قتله، فجاءوا لاستنقاذه.

فأمر عبيد الله شريح القاضي بأن يخرج للناس ويعلمهم بأنّ صاحبهم حي، فخرج شريح إليهم وقال لهم: إني قد رأيت صاحبكم حياً، وإنّ الذي بلغكم من قتله كان باطلا.

فقالوا: إذا لم يقتل فالحمد لله، ثم تفرقوا[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٩.

٣١ ـ الخطبة الثانية لابن زياد

ثم أنّ عبيد الله جمع بعض زعماء القبائل، وشرطته وحاشيته فخرج بهم، وصعد المنبر، فخطب خطبة موجزة:

«أمّا بعد: أيها الناس! فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تخلفوا، ولا تفرقوا فتهلكوا، وتذلوا، وتقتلوا، وتجفوا، وتحرموا، إنّ أخاك من صدقك، وقد اعذر من أنذر»[١].

ثم إنّ الموقف قد تدهور، وخذل الناس مسلم بن عقيل، وذلك بعد أن اشترى عبيد الله ذمم وضمائر بعض الزعماء، فأخذوا يخذلون الناس عن مسلم، ويمنوهم بالمال، ويخوفوهم بجنود أهل الشام.

ثم أشرف على الناس بعض رُؤساء القبائل، وتكلم كثير بن شهاب وقال: «أيها الناس الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً، لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريتكم من العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية، إلاّ أذاقها وبال ما جرت أيديها»[٢].

وتكلم بقية الرؤساء بنحوه، فأخذ الناس يتفرقون أفراداً وجماعات، حتى كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع؟ فخذل الناس مسلم، وبقي وحده يسير في الطريق، فلا يرى أين يذهب؟ حتى دخل في دار امرأة يقال لها: طوعة، فآوته إلى الصباح.

---

(١) نفس المصدر: ٢٧٤.

(٢) نفس المصدر: ٢٧٧.

٣٢ ـ الخطبة الثالثة لابن زياد

وكان عبيد الله قد علم بتفرّق الناس عن مسلم، فأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء، أو المناكب، أو المقاتلة، صلّى العتمة إلاّ في المسجد.

فما كانت إلاّ ساعة وامتلأ المسجد بالناس، ثم أمر عبيد الله الحرس أن يحرسونه من جانب، فدخل المسجد وصعد المنبر، وقال:

«امّا بعد: فإن ابن عقيل السفيه الجاهل، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته.

اتقوا الله عباد الله، وألزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا»[1].

٣٣ ـ محاصرة مسلم بن عقيل

ثم نادى يا حصين بن نمير! وكان صاحب شرطته: ثكلتك أمك! أن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً، واستبر الدور، وجس خلال الدور حتى تأتيني بهذا الرجل.

ولّما كان الغداة علم بمكان مسلم، فبعث إليه عبيد الله بسبعين فارس مع محمّد بن الأشعث، فأحاطوا بمسلم من كل جانب. فقاتلهم مسلم وحده مقاتلة الشجعان، وكافحهم مكافحة الأبطال؛ حتى أكثر فيهم القتل، واستنجدوا بعبيد الله أن يبعث إليهم بالخيل والرجال، فانجدهم. وأخذوا يرمونه بالنار والحجارة من فوق الدور[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر.

وعمدوا إلى مكيدة، فحفروا له حفيرة، ووضعوا عليها الحطب والتراب، وبينما هو يهجم عليهم، وهم يفرون من بين يديه، إذ سقط مسلم في تلك الحفيرة. فهجموا عليه، وضربوه بالسيف على شفته العليا، وأخذوا السيف منه وكتفوه، وأخذوه إلى عبيد الله بن زياد.

فقال مسلم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى. فقيل له: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب، إذا نزل به مثل الذي نزل بك، لم يبك. فقال مسلم:

«إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين»[1].

٣٤ ـ رسالة شفوية من مسلم إلى الحسين عليه السلام

ثم إنّ مسلم أقبل على محمّد بن الأشعث وقال له: «هل عندك خير، تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ حسيناً. فإني لا أراه إلاّ وقد خرج إليكم اليوم مقبلا، أو هو خارج غداً، هو وأهل بيته، وأن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير، لا يرى أن تمشي حتى تقتل. وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك، الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأي»[2].

فقال الأشعث: لأفعلن ولأعلمن ابن زياد، ثم بعث الأشعث أياس بن العثل الطائي، بهذه الرسالة الشفوية إلى الحسين في منطقة الزبالة.

---

(١) نفس المصدر: ٢٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨١.

٣٥ ـ محاورة بين مسلم وابن زياد

دخول مسلم على عبيد الله بن زياد.

ثم إنّ مسلم ادخل على عبيد الله بن زياد فلم يسلم عليه، فقال الحرس: سلم على الأمير. فقال مسلم:

اسكت ويحك، والله ما هو لي بأمير.

فقال عبيد الله: لا عليك سلمت أم لم تسلم فانّك مقتول. فقال مسلم:

إن قتلتني، فلقد قتل من هو شر منك، من هو خير مني.

عبيد الله: قتلني الله أن لم أقتلك، قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

مسلم:

أمّا أنّك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد، أولى بها منك.

عبيد الله: يا عاق! يا شاق! خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة.

مسلم:

كذبت، إنّما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد ابن بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته.

عبيد الله: منتك نفسك أمراً حال الله دونه، وجعله لأهله.

مسلم:

ومن أهله يابن مرجانة، إذا لم نكن نحن أهله؟

عبيد الله : أهلهُ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

مسلم :

الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

عبيد الله : أتظن أنّ لك في الأمر شيئاً؟

مسلم :

والله ما هو الظن، ولكنه اليقين.

عبيد الله : إيه ابن عقيل! أتيت الناس وهم جمع وأمرهم ملتئم، فشتت أمرهم بينهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.

مسلم :

كلا لست لذلك أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفعتم المعروف، وتآمرتم على الناس بغير رضاً منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة، وكنّا أهلا لذلك.

عبيد الله : وما أنت وذلك يا فاسق! لِم لم تعمل بذلك، إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر.

مسلم :

أنا أشرب الخمر! أما والله إنّ الله ليعلم أنك تعلم غير صادق، وإنّ أحق بشرب الخمر مني وأولى بها، من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويسفك الدم الذي حرم الله، على الغضب، والعداوة، وسوء الظن، وهو يلهو ويعلب، كأن لم يصنع شيئاً[1].

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٧٤، تاريخ الطبري ٤: ٢٨٣.

عبيد الله: فأخذ يشتمه، ويشتم علياً، والحسن والحسين عليهم السلام، وعقيلا.

مسلم:

أنت وأبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض، يا عدوّ الله.

عبيد الله: أين بكر بن حمران، فليصعد به إلى أعلى القصر، ويضرب عنقه، ويرمي بجثمانه من أعلى القصر[1].

مسلم:

يصعد به إلى أعلى القصر، وهو يكبر ويستغفر الله ويسبحه، ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول: «اللّهم أحكم بيننا، وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا»، ثم صلّى ركعتين وضرب عنقه، ورمي بجسده من أعلى القصر[2].

وكان خروج مسلم بن عقيل يوم الاثنين، وقتل عليه السلام يوم الثلاثاء، لثماني ليال مضين من ذي الحجة، من يوم عرفة، سنة ٦٠ هجرية، وهو اليوم الذي خرج فيه الحسين من مكة قاصداً العراق.

ثم أخرج هاني إلى سوق الجزارين وهو يقول: «وامذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، إلى الله المعاد، اللّهم إلى رحمتك ورضوانك». ثم ضرب عنقه تركي مولى لعبيد الله بن زياد. وربط رجليهما بحبل، وسحبوهما في السوق. فرثاهما الشاعر بقوله:

إذا كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانيء في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل[3]

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٢٦٦ ـ ٢٢٨٣، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٥٧ ـ ٥٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٢٨٤ ٢٨٥، ومقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٥٧ ـ ٥٩.

٣٦ ـ كتاب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية

ولّما قتل هاني بن عروة ومسلم بن عقيل، حز رأسيهما وبعثهما إلى يزيد بن معاوية، مع هاني بن أبي حية الوداعي، والزبير بن الأروح التميمي، وزودهما بكتاب وهذا نصه[١]:

«أما بعد: فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، اخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وإني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما، مع هاني بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً والسلام»[٢].

٣٧ ـ كتاب يزيد إلى عبيد الله

ولّما وصل الكتاب إلى يزيد بن معاوية وقرأه، كتب إليه جواباً.

«أمّا بعد: فإنك لم تعد إن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد اغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأيي فيك. وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير أن لا تقتل إلاّ من قاتلك، واكتب إليّ في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله»[٣].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٥.

(٣) نفس المصدر: ٢٨٦.

٣٨ ـ خطبة الإمام الحسين عليه السلام في مكة

أخبر الإمام الحسين عليه السلام، بأن يزيد بن معاوية قد زود عمرو بن سعيد بن العاص بخيل ورجال، وأمره أن يقبض على الحسين عليه السلام، ولو أبى لناجزه.

ودس أيضاً ثلاثين رجلا من شياطين بني أمية مع الحاج، أن يغتالوا الحسين على أي حال اتفق، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

فخاف عليه السلام أن يغتال في الحرم، فتهتك حرمة المسجد، وحرمة الشهر الحرام، فقال:

«والله لان أُقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن اقتل داخلا فيها بشبر وايم الله! لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام؛ لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدن عليّ، كما اعتدت اليهود في السبت»[1].

فعجل عليه السلام بالخروج من مكة لهذا السبب، قاصداً العراق، وخصوصاً بعد أن وصلته كتبهم، فعندما عزم تهيأ للخروج ثم قام فخطب قائلا:

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلاّ بالله، وصلّى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني[2] إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات[3] بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس،

---

(١) نفس المصدر: ٢٨٩.

(٢) الوله: الحنين.

(٣) عسلان الفلاة: الذئاب، والعسلان: الرماح.

تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[1].

وكان عليه السلام قد أحرم للحج، وأراد الإحلال من إحرامه، فجعلها عمرة مفردة؛ لأنّه لم يتمكن من إكمال حجه، مخافة أن يقبض عليه. فطاف بالبيت وصلّى، وسعى بين الصفا والمروة، وقصّر من شعره، وأحلّ إحرامه.

٣٩ ـ الحسين عليه السلام مع رجالات مكة

عندما علم الناس بعزم الحسين عليه السلام على الخروج من مكة قاصداً العراق، جاءه نفر من إخوته، وأبناء عمومته، وأقربائه، ومن الصحابة وأبنائهم، يشيرون عليه بعدم الذهاب إلى العراق، ويرجونه البقاء بالحجاز؛ لأنّه سيدهم وزعيمهم، كعمر بن عبد الرحمن المخزومي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر الطيار، وعبد الله بن عمر، ومحمّد بن الحنفية وغيرهم[2].

وكان عليه السلام يجيب كلاً من هؤلاء بجواب، مثل:

«استخير الله وانظر ما يكون»[3].

وقال لآخر:

«إنّ أبي حدثني، أنّ بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش»[4].

أو مثل قوله لآخر:

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) نفس المصدر.

«أتاني رسول الله بعد مفارقتك، فقال: يا حسين أخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا»[١].

قيل له: فما حملك هذه النسوة معك؟

فقال عليه السلام:

«إن الله شاء أن يراهن سبايا»[٢].

وقال عليه السلام لبعضهم:

«وايم الله! لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام؛ لاستخرجوني حتى يقتلوني، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا ذلك، سلط الله عليهم من يذلهم؛ حتى يكونوا أذل من فرام[٣] المرأة».

ثم جاءه عبد الله بن عمر، وأشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذره من القتل والقتال. فقال له الحسين عليه السلام:

«هيهات يابن عمر، إنّ القوم لا يتركوني، وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني، فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره، أو يقتلوني، أما تعلم يا عبد الله! أن من هوان الدنيا على الله تعالى أنّه أتي برأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟! أما تعلم يا ابا عبد الرحمن! أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم، كأنهم لم يصنعوا شيئاً؟! فلم يعجل الله عليهم، بل أخذهم

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الفرام: خرقة الحيض.

بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر؟! اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي»[١].

ثم إنّه عليه السلام أمر إخوته وأولاده وبني أعمامه وأصحابه، أن يسيروا بالظعائن والحريم، وذلك في يوم الثلاثاء أو الأربعاء، يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجة، سنة ٦٠هـ فاعترضته رسل عمرو بن سعيد أمير الحجاز من قبل يزيد؛ ليردوه ويمنعونه من المسير إلى العراق، فتدافع الفريقان وتضاربا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه فنادوه:

«يا حسين ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأمة».

فتلا الحسين عليه السلام قول الله تعالى:

﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

ثم سار الحسين عليه السلام ومعه ركبة، وهو يذكر يحيى بن زكريا وقتله، ويقول:

«من هوان الدنيا على الله، أنّ رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل».

حتى مر بالتنعيم، فوجد فيها عيراً تحمل هدايا من الورس والحلل إلى يزيد بن معاوية، بعث بها عامله على اليمن. فأخذها وقال لأصحاب الجمال: من أحب أن ينطلق معنا وفّيناه كراه وأحسنا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا أعطيناه كراه. فبقي بعضهم مع الحسين عليه السلام وذهب آخرون[٣].

---

(١) أعيان الشيعة ٤: ٢١٢، القسم الأوّل، كتاب الفتوح ٥: ٣٨ و٤٢، حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٢٠.

(٢) يونس (١٠): ٤١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٠.

٤٠ ـ الحسين عليه السلام والفرزدق

ثم أقبل الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى منطقة الصفاح، فلقيه الفرزدق ابن غالب الشاعر، فواقف حسيناً وقال له: أعطاك الله سؤلك، وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي يابن رسول الله. فقال له الحسين عليه السلام: ما خلفت الناس؟ فقال له الفرزدق: من خبير سألت، قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين عليه السلام:

«صدقت لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته، والسلام عليك»[1].

ثم حرك دابته وسار.

٤١ ـ كتاب عبد الله بن جعفر الطيار إلى الحسين عليه السلام

ولمّا وصل نبأ خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى عبد الله بن جعفر الطيار، كتب كتاباً للحسين عليه السلام، وبعثه مع ابنيه عون ومحمّد، جاء فيه:

«أمّا بعد: فإني أسألك بالله لما انصرفت، حتى تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له، أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفيء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فإني في أثر الكتاب، والسلام»[2].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩١.

٤٢ ـ جواب الحسين عليه السلام له

فأجابه الإمام عليه السلام قائلا:

«أني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرت فيها بأمر أنا ماض له عليّ كان أولي».

فسئل ما هي تلك الرؤيا؟ قال عليه السلام:

«ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها، حتى ألقى ربي»[1].

٤٣ ـ كتاب عمرو والي يزيد على مكة إلى الحسين عليه السلام

ثم إن عبد الله بن جعفر الطيار واصل سعيه وجهده، لدى عمرو بن سعيد والي يزيد على مكة؛ كي يأخذ منه الأمان للحسين عليه السلام، حتى يرجع عن عزمه، وخروجه إلى العراق، فطلب من عمرو بن سعيد أن يكتب كتاباً للحسين، يمنيه فيه بالأمان والإحسان والصلة، فاستجاب عمرو بن سعيد إلى عبد الله بن جعفر، وكتب كتاباً هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي. أمّا بعد: فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك. بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك، شهيد وكفيل ومراع ووكيل. والسلام عليك»[2]، وبعثه مع عبد الله بن جعفر وأخيه يحيى بن سعيد؛ ليكون أكثر اطمئناناً وثقة.

---

(١) نفس المصدر: ٢٩٢.

(٢) نفس المصدر: ٢٥٢.

٤٤ ـ جواب الحسين لعمرو بن سعيد والي يزيد على مكة

ثم أن عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد جاءا بالكتاب إلى الحسين عليه السلام، وهو في طريقه إلى العراق، وألحا أن ينثني عن عزمه ورجوعه إلى بلده آمنا مكرماً، فأبى الحسين عليه السلام واعتذر إليهما، بما قاله في جواب عبد الله بن جعفر:

«إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأُمرت فيها بأمر أنا ماض له، عليّ كان أولي».

فقالا: فما تلك الرؤيا؟ قال عليه السلام:

«ما حدث أحداً بها، وما أنا محدث أحداً، حتى ألقى ربي».

ثم أنّه عليه السلام كتب جواباً لكتاب عمرو بن سعيد والي يزيد على مكة، جاء فيه:

«أما بعد: فإنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل، وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين. وقد دعوتَ إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا. فنسأل الله مخافةً في الدنيا، توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام»[1].

٤٥ ـ كتاب الحسين عليه السلام الثاني لأهل الكوفة

ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام واصل سيره، حتى مر بوادي العقيق، فلقي رجلا من بني أسد، يسمى: بشر بن غالب، قادماً من العراق، فسأله عن أهلها. فقال: «خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية»، فقال عليه السلام:

---

(١) نفس المصدر: ٢٩٢.

«صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد».

ثم أقبل الحسين عليه السلام سائراً حتى بلغ منطقة الحاجر من بطن الرمة، كتب كتاباً إلى جماعة من أهل الكوفة منهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد وغيرهم، وهو ثاني كتاب يرسله الحسين عليه السلام إليهم، وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي، إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله، الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد: فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني، يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا. فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر. وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم، وجدّوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وختمه، وأرسله مع قيس بن مسهر الصيداوي عليه الرحمة.

٤٦ ـ رسول الحسين عليه السلام مع ابن زياد

لمّا وصل نبأ سير الحسين إلى العراق إلى عبيد الله بن زياد، أخذ استعداده العسكري الكامل، ووضع رجاله على الطرق الرئيسية. وكان الحصين بن تميم صاحب شرطته، قد نزل في القادسية، ونظم خيله ورجاله، ما بين القادسية ومنطقة خفان، إلى منطقة القطقطانة، إلى جبل لعلع، إلى البصرة. ولمّا انتهى رسول الحسين قيس بن مسهر

(١) نفس المصدر: ٢٩٧.

الصيداوي إلى القادسية، اعترضه الحصين بن تميم ليفتشه. أخرج قيس الكتاب وخرقه، فأخذه الحصين إلى عبيد الله بن زياد، فلمّا مثل بين يديه، قال له عبيد الله: من أنت؟ قال قيس: أنا رجل من شيعة علي والحسين.

عبيد الله: لماذا خرقت الكتاب؟

قيس: لئلا تعلم ما فيه.

عبيد الله: وممّن الكتاب؟ وإلى من؟

قيس: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة، لا أعرف أسمائهم.

عبيد الله غضب قائلا: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم. أو تصعد المنبر فتسب الحسين بن علي وأباه وأخاه، وإلاّ قطعتك إرباً إرباً.

قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأما سب الحسين وأبيه وأخيه فأفعل.

قيس: يصعد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر من الترحم على علي والحسن الحسين. ولعن عبيد الله بن زياد وأباه وعتاة بني أمية. ثم قال: «أيها الناس! هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا رسوله إليكم، وقد خلفته بالحاجر فأجيبوه»[(١)].

عبيد الله: أمر به فرمي من أعلى القصر، فتقطع ومات رضوان الله عليه.

الحسين يؤبّن قيساً

فبلغ الحسين عليه السلام قتله، فاسترجع واستعبر بالبكاء، ثم قرأ:

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٧، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٧.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢٣.

ثم قال عليه السلام:

«جعل الله له الجنة ثواباً، اللّهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلا كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، وغائب مذخور ثوابك، إنّك على كل شيء قدير»[١].

الحسين وعبد الله بن مطيع

ثم إنّ الحسين عليه السلام سار حتى انتهى إلى ماء من مياه العرب، وعليه عبد الله بن مطيع العدوي، فاستقبل الحسين وناشده عن عدم الذهاب إلى الكوفة، قائلا له:

«يابن رسول الله! أذكرك الله في حرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش وذمة العرب، والله لئن طلبت ما في يدي بني أمية ليقتلوك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنّها لحرمة الإسلام وحرمة قريش، فالله الله لا تفعل، ولا تأتِ الكوفة، وتعرض نفسك لبني أمية».

فأبى الحسين عليه السلام، ثم ودعه وانصرف[٢].

٤٧ ـ عبيد الله ومنع التجول

ثم لقي أعراباً فسألهم عليه السلام فقالوا: والله لا نعلم غير أننا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج؛ لأن عبيد الله أمر أن لا يخرج ولا يلج أحد، من واقصة إلى طريق الشام، إلى البصرة[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٢٩٨، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٧١.

(٢) ذكر مجمل ذلك تاريخ ابن عساكر ٣: ٦٨، حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي ٣: ٢٩، تاريخ الطبري ٤: ٢٩٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٥.

٤٨ ـ الحسين وزهير بن القين

وسار حتى أقبل إلى ما فوق منطقة ـ زرود ـ فصادف زهير بن القين، ومعه جماعة من فزارة وبجيلة، وكان من أبغض الأشياء إليه مقابلة الحسين؛ لأنّه عثماني العقيدة، فبعث الحسين عليه السلام خلفه، وكان يتغذى مع جماعته، فاسقط ما في أيديهم، كأن على رؤوسهم الطير. فقالت له زوجته: سبحان الله! ابن رسول الله يدعوك فلا تجيبه، فأتاه زهير على كره. ثم رجع إلى أصحابه مستبشراً، وأمر بفسطاطه وثقله ورحله فحول إلى الحسين عليه السلام، وقال لأصحابه:

«من أحب منكم أن يتبعني، وإلاّ فهو آخر عهد مني».

ثم قال سأحدثكم حديثاً: «إنا غزونا بلنجر، وهي بلدة في بلاد الخزر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ففرحنا. فقال لنا سلمان الباهلي: إذا أدركتم قتال شباب آل محمّد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم، بما أصبتم من الغنائم»[(١)].

ثم قال لزوجته: أنت طالق. الحقي بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاّ خيراً؛ لأني أفديه بروحي، وأقيه بنفسي، وسلمها إلى بني عمومتها. فقالت له: خار الله لك، أسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام، فلزم الحسين عليه السلام حتى قتل.

٤٩ ـ منطقة الثعلبية

ثم إنّه عليه السلام أخذ يسير بركبه حتى مر بمنطقة الخزيمية، فأقام بها يوماً وليلة، فجاءته أخته زينب عليه السلام وقالت له: سمعت هاتفاً يهتف ويقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي

على قوم تسوقهم المنايا ... بمقدار إلى انجاز وعد

(١) نفس المصدر: ٢٩٩.

فقال الحسين عليه السلام:

«يا أختاه كل الذي قضي فهو كائن».

ثم سار الحسين عليه السلام فوصل منطقة الثعلبية ممسياً.

٥٠ ـ الحسين مع ابنه علي الأكبر

فوضع الإمام عليه السلام رأسه بين ركبتيه، فأخذته سِنة نوم، ثم أفاق فقال:

رأيت هاتفاً يقول: «انتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة».

علي الأكبر:

يا أبه! أفلسنا على الحق؟

الحسين عليه السلام:

بلى يا بني! والذي إليه مرجع العباد.

علي الأكبر:

يا أبه! إذن لا نبالي بالموت.

الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بني! ما جزى ولداً عن والده.

٥١ ـ الحسين عليه السلام مع أحد الأعراب

ولما أصبح وإذا برجل من أهل الكوفة يكنى: بأبي هرة الأزدي، فسلم على الحسين وقال: يابن رسول الله! من أخرجك من حرم الله، وحرم جدك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال له الحسين عليه السلام:

«ويحك يا أبا هرة! إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت. وايم الله! لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلا شاملا،

وسيفاً قاطعاً، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ»[١].

٥٢ ـ الحسين يخبر بقتل مسلم وعبد الله بن يقطر

ثم إنّ الحسين عليه السلام سار حتى انتهى إلى منطقة زبالة فسقط إليه خبر مسلم بن عقيل، وعبد الله بن يقطر، أخيه من الرضاعة. وكان قد بعثه من الطريق إلى مسلم، فأخذه رجال الحصين بن نمير بالقادسية، وجيء به إلى عبيد الله بن زياد. فقال له اصعد فوق القصر، والعن الكذاب بن الكذاب، حتى أرى فيك رأيي.

فصعد عبد الله بن يقطر القصر، وأشرف على الناس وقال:

«أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله، لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي».

فأمر عبيد الله برميه من أعلى القصر، فرمي، ثم حز رأسه»[٢].

الحسين يؤبّن مسلم بن عقيل

ثم إنّ الحسين عليه السلام ترحم على مسلم بن عقيل مراراً، ثم استعبر وقال:

«رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحياته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه، وبقي ما علينا، ولا خير في العيش بعد هؤلاء»[٣].

ثم أخرج كتاباً وقرأه على الناس، والأعراب الذين جاءوا معه طلباً للرزق والعافية، وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد: فإنّه قد أتاني خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٧٦.

وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف، فلينصرف في غير حرج، وليس عليه ذمام»[١].

فتفرق عنه نفر كثير؛ لأنهم جاءوا معه، ظناً منهم أنّه قد استقامت له الأمور، وصفا له الجو. فأحب عليه السلام أن يخبرهم بذلك؛ ليكونوا على بينة من أمرهم ومصيرهم، لئلا يقال أنّه عليه السلام غرر بهم، وضلل عليهم الأمر؛ لأنّهم اتبعوه طلباً للرزق. فاستغل هذا الجانب لتكثير جمعه وزيادة أصحابه، كما يستغل الكثير من أصحاب الثورات التي اندلعت بعد ثورة الحسين عليه السلام حاملين بعض الشعارات؛ لتضليل بسطاء الناس وإغوائهم، وذلك زيادة في الجمع والعدد، ولكن الحسين عليه السلام شريف في ثورته، ونبيل في استعمال وسائلها، فلهذا أخبرهم بذلك؛ حتى لا يبقى معه إلاّ من كان موطناً نفسه على لقاء الله[٢].

٥٣ ـ منطقة بطن العقبة

ولّما كان وقت السحر أمر عليه السلام غلمانه وفتيانه، فاستقوا الماء وأكثروا، ثم سار عليه السلام حتى مر بمنطقة بطن العقبة، فلقيه عمر بن لوذان، شيخ من بني عكرمة، فسأله عن مقصده، ثم ناشد الحسين عليه السلام أن لا يذهب إلى الكوفة؛ لأنه لا يقدم إلاّ على الأسنّة وحد السيوف. فقال الحسين عليه السلام:

«يا عبد الله إنه ليس يخفى علي الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره. والله لا يدعوني، حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا، سلط الله عليهم من يذلهم، حتى يكونوا أذل فرق الامم»[٣].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٧٧، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٧٨، تاريخ الطبري ٤: ٣٠١.

(٣) نفس المصدر.

٥٤ ـ منطقة (شراف)

ثم ارتحل عليه السلام من بطن العقبة سائراً، حتى نزل بمنطقة شراف، ولمّا مضى من الليل شطره، أمر فتيانه بالتزود من الماء والإكثار منه، ثم سار حتى انتصف النهار[١].

٥٥ ـ التقاء الحسين بأول كتيبة للجيش الأموي

وبينما هم سائرون، وإذا برجل من أصحاب الحسين كبّر، فقال الحسين عليه السلام: الله أكبر، لم كبرت؟ فقال: رأيت النخلة.

فقيل له: ما رأينا به نخلة قط، والله ما هي إلاّ أسنّة الرماح وهوادي الخيل. فقال الحسين عليه السلام: وأنا والله أرى ذلك، فهل لنا ملجأ نجعله خلف ظهورنا، ونستقبل القوم؟

فقالوا: ذو حسم عن يسارك. فأسرع الحسين إليه، وضرب ابنيته وخيامه.

وإذا بمقدمة الجيش الأموي، تعد بألف فارس، وعلى رأسها الحر بن يزيد التميمي اليربوعي، وهم على أتم الاستعداد الحربي، متقلدين سيوفهم ورماحهم، ولكن العطش قد أضرّ بهم، وكان وقت الظهيرة.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه:

«اسقوا القوم وارووهم من الماء وارشفوا الخيل ترشيفاً».

فقام فتيانه وأرشفوا الخيل وسقوا القوم، حتى أرووهم. وأقبلوا يملأون القصاع والأنوار والطساس من الماء، ثم يدنونها من الفرس، حتى سقوا الخيل كلها. وكان الحسين عليه السلام يروي القوم بيده أيضاً[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٢.

(٢) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٣٠٢.

الحر والحسين

ثم قال الحسين عليه السلام للحر بن يزيد:

«ألنا أم علينا»؟

فقال الحر: بل عليك يا أبا عبد الله. فقال الحسين عليه السلام:

«لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم».

٥٦ ـ خطبة الحسين الأولى على مسامع الجيش الأموي

ثم حان وقت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن. ثم خرج عليه السلام إليهم في أزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس! إنها معذرة إلى الله عزّ وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم، أن أقدم علينا، فإنّه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك، فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا، وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم»[١].

فسكتوا عنه، وقيل للمؤذن أقم للصلاة. فقال الحسين عليه السلام للحر:

«صلِ أنت بأصحابك».

فقال الحر: «لا بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك» فصلّى بهم الحسين عليه السلام، وانصرف إلى خيامه[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٨١، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٣.

٥٧ ـ الخطبة الثانية للحسين عليه السلام أمام كتيبة الحر

ولّما دخل وقت صلاة العصر أمر الحسين عليه السلام فنودي لصلاة العصر، وأقام، فجاء عليه السلام وصلّى بهم صلاة العصر، ثم توجه إليهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أمّا بعد: أيها الناس! فإنّكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله، يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمّد، أولى بولاية هذا الأمر عليكم، من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان. وإن أبيتم إلاّ الكراهية لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم، انصرفت عنكم»[١].

فأجابه الحر بن يزيد: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل. فقال الحسين عليه السلام لعقبة بن سمعان:

«اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ، فأخرج خرجين مملوئين صحفاً، فنثرت بين يديه».

فقال الحر: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا أن لا نفارقك، حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد[٢].

فقال الحسين عليه السلام:

الموت أدنى إليك من ذلك.

ثم قال عليه السلام لأصحابه:

قوموا فاركبوا.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٣، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٨١.

وأركبت النسوة. فقال عليه السلام:

انصرفوا.

فحال الجيش الأموي دونهم. الحسين عليه السلام قال للحر:

ثكلتك أمك، ما تريد؟

الحر: لو غيرك من العرب يقولها لي، وهو على مثل هذا الحال التي أنت عليها، ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان، ولكن ما لي إلى ذكر أمك من سبيل، إلاّ بأحسن ما نقدر عليه. الحسين عليه السلام للحر:

فما تريد؟

الحر: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد. الحسين عليه السلام:

إذن والله لا أتبعك.

الحر: إذن والله لا أدعك.

فترادا بالقول ثلاث مرات، وكثر الكلام بينهما[١].

الحر للحسين: إني لم أؤمر بقتالك، وإنّما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة، ولا يردّك إلى المدينة؛ حتى اكتب إلى الأمير عبيد الله، فلعل الله أن يرزقني العافية، من أن أبتلى بشيء من أمرك. فخذ هنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية.

الحسين عليه السلام:

أمر أصحابه بالسير والتياسر، والحر يسايره[٢].

---

(١) نفس المصدر: ٤ . ٣٠٤.

(٢) نفس المصدر.

٥٨ ـ الحسين يخطب ثالثاً أمام كتيبة الحر

وبينما هم على هذا الحال يسيرون، حتى وصلوا إلى منطقة البيضة، فوقف الحسين عليه السلام وخطب في كتيبة الحر بن يزيد التميمي قائلا، بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

من رأى سلطاناً جائراً، مستحلا لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٠، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤.

٥٩ ـ الحسين يستشهد بأبيات

ثم سار الحسين عليه السلام والحر يسايره أيضاً، وهو يشدد ويضيق الخناق عليه في سيره، ثم قال للحسين: إنّي أذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى. فقال له الحسين عليه السلام:

أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لك؟

ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، عندما أراد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: تذهب فانّك مقتول. فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وآسى رجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وودع مجرما

أقدم نفسي لا أريد بقاءها ... لتلقى خميساً في الوغي وعرمرما

وان عشت لم أندم وإن مت لم أُلم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

فلمّا سمع الحر ذلك من الحسين عليه السلام، تنحى عنه. فصار يسير في ناحية، والحر يسير في ناحية أخرى[1].

في منطقة عذيب الهجانات

وبينما هما على هذا الحال يسيران، حتى انتهيا إلى منطقة عذيب الهجانات، وإذا بأربعة أنفار جاءوا لنصرة الحسين عليه السلام، وهم نافع بن هلال الجملي، والطرماح بن عدي، ومجمع بن عبد الله العائذي، وعمرو بن خالد الصيداوي. فمنعهم الحر وأراد حبسهم. فقال الحسين عليه السلام:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥، مقتل الحسين، محسن الأمين: ٨٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٤: ٢٨٠.

«هؤلاء أنصاري وأعواني، لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، فهم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي، وقد كنتَ أعطيتني أن لا تعرض لي بشيء، حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فإن تمت عليّ ما كان بيني وبينك، وإلاّ ناجزتك»[١].

فخلى الحر سبيلهم، وكف عنهم. فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وما وراءهم، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي: أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائزهم، ويستمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك. وأمّا سائر الناس بعد، فإنّ أفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك[٢].

مقتل رسول الحسين

ثم أخبر بمقتل رسوله قيس بن مسهر الصيداوي، فترقرقت عينا الحسين عليه السلام، ولم يملك دمعه، وقال:

«﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٣]»[٤].

ثم إنّ الطرماح بن عدي ناشد الحسين أن يذهب معه إلى قومه ـ طي ـ وينزل بين أجا وسلمى، وهما جبلان بطي، وتكفل له بعشرين ألف طائي، يضربون بين يديه بأسيافهم. فجزاه الحسين عليه السلام وقومه خيراً، وقال له:

«إنّ بيننا وبين القوم قولاً لا نقدر معه على الانصراف، فإن يدفع الله عنا، فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لابد منه، ففوز وشهادة إن شاء الله»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٢٣.

(٤) انظر رسول الحسين مع عبيدالله بن زياد في هذا الكتاب.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٨٥، وانظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧.

الطرماح يحدو بالركب الحسيني

ثم قال الحسين عليه السلام لأصحابه: هل فيكم من يعرف الطريق على غير الجادة.

فأجابه الطرماح بن عدي: أنا يابن رسول الله. فقال الحسين عليه السلام: سر بين أيدينا. فسار الطرماح أمامه وهو يرتجز:

يا ناقتي لا تذعري من زجر ... وامضِ بنا قبل طلوع الفجر

بخير فتيان وخير سفر ... آل رسول اللّه آل الفخر

إلى أن يقول:

أيد حسيناً سيدي بالنصر ... على الطغاة من بقايا الكفر

على اللعينين سليلي صخر ... يزيد لا زال حليف الخمر

وابن زياد العهر وابن العهر[1]

في قصر بني مقاتل

ولم يزل الحسين عليه السلام سائراً، حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزل ورأى فسطاطاً مضروباً، فسأل عنه، فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، وهو من شجعان الكوفة. فأرسل الحسين خلفه، فاسترجع وقال: والله ما خرجت من الكوفة إلاّ كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها.

فجاءه الحسين ودعاه إلى نصرته فاستعفاه. فقال الحسين عليه السلام:

«فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا، إلاّ هلك».

ثم إنّ عبيد الله الجعفى قال للحسين: خذ فرسي هذه فإنها من جياد الخيل. فأعرض الحسين بوجهه عنه وقال:

---

(١) انظر معنى هذا في تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥.

«لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك»[١]

ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٢].

٦٠ ـ الحسين وابنه علي الأكبر

ولما كان الليل، أمر الحسين عليه السلام التزود بالماء والرحيل، وبينما هم سائرون، إذ خفق الحسين خفقة، وهو على ظهر جواده، فانتبه قائلا:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين»

مردداً ذلك ثلاثاً. علي الأكبر عليه السلام:

يا أبتِ! جُعلت فداك، مم حمدت الله واسترجعت؟

الحسين عليه السلام:

يا بني إني خفقت برأسي خفقة، فعن لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري اليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا.

علي الأكبر عليه السلام:

يا أبتِ! لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟

الحسين عليه السلام:

بلى، والذي إليه مرجع العباد.

علي الأكبر عليه السلام:

يا أبتِ! إذن لا نبالي نموت محقين.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧.

(٢) الكهف (١٨): ٥٢.

الحسين عليه السلام:

جزاك الله من ولد، خيرما جزى ولداً عن والده[١].

٦١ـ كتاب ابن زياد إلى الحر

ثم سار عليه السلام، ولمّا أصبح نزل وصلّى الغداة، ثم عجل بالسير، وأخذ يتياسر والحر يمانعه. وإذا برسول عبيد الله بن زياد يسلم على الحر ويدفع إليه بكتاب عبيد الله بن زياد. وهذا نصه:

«أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلاّ بالعراء، في غير حصن وعلى غير ماء. وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك؛ حتّى يأتيني بانفادك أمري، والسلام»[٢].

فعندها قال الحر للحسين وأصحابه: هذا كتاب عبيد الله يأمرني فيه أن اجعجع بكم في المكان الذى يصل كتابه إليّ، وهذا رسوله لا يفارقني حتى أنفذ أمره، فقال المهاصر أبو الشعثاء الكندي أحد أصحاب الحسين عليه السلام، إلى رسول عبيد الله بن زياد: أمالك بن النسير البدي؟ قال نعم. فقال أبوالشعثاء: ماذا جئت فيه.

قال رسول عبيد الله: وما جئت فيه أطعت امامي، ووفيت ببيعتي. فقال له أبو الشعثاء: «عصيت ربك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار. قال الله عزّ وجل:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[٣] فهو امامك»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٢.

(٣) القصص (٢٨): ٤١.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨.

٦٢ ـ الحسين وكربلاء

وكلّما أراد الحسين عليه السلام أن يسير بركبه، الحر وأصحابه يمنعونه ويحولون دونه، فترافعا. فقال له الحسين عليه السلام:

ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟

قال: بلى، ولكن كتاب الأمير عبيد الله أمرني بالتضييق عليك، وجعل عليّ عينا. فقال زهير بن القين للحسين عليه السلام:

إني والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون، إلاّ أشد يابن رسول الله، وإنّ قتال هؤلاء الساعة، أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم.

فأجابه الحسين عليه السلام:

ما كنت لأبدأهم بالقتال[1].

فقال زهير:

فسر بنا يابن رسول الله، حتى ننزل كربلاء[2] فإنّها على شاطئ الفرات، فنكون هناك. فإن قاتلونا قاتلناهم، واستعنا الله عليهم.

فقال الحسين عليه السلام:

اللّهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء.

ثم سار والحر يضيق ويشدد الخناق على سير الحسين عليه السلام، حتى وصل كربلاء يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من محرم سنة ٦١هـ، وقال:

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٩.

(٢) كربلاء: تحوير لكلمة: (كرب ايلا) أي معبد الإله، وهو المعبد الكبير في تلك الأرض قديماً قبل الاسلام.

أهذه كربلاء؟

قالوا: نعم يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عليه السلام:

«هذا موضع كرب وبلا، انزلوا هاهنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا»(١).

فنزلوا جميعاً في جانب، ونزل الحر وأصحابه في جانب آخر.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٩.



الركب الحسيني وكربلاء

انزلوا، هاهنا مناخ ركابنا،

ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا

٦٣ ـ خطبة الحسين عليه السلام في كربلاء

وهي أول خطبة للحسين عليه السلام في مدينة ـ كربلاء ـ بعد وصوله إليها.

فإنّه عليه السلام أقبل على أصحابه؛ ليرى رأيهم، وما هي عليه ضمائرهم، فقال عليه السلام:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»[١].

ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي وآله، وقال:

«أمّا بعد. فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، ألا وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلاّ صبابة[٢] كصبابة الإناء، وخسيس[٣] عيش كالمرعى الوبيل[٤].

ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما[٥]»[٦].

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٠.

(٢) الصبابة: البقية من الماء ونحوه في الإناء.

(٣) الخسيس: الحقير.

(٤) الوبيل: الوخيم، والمرعى الوبيل: المرعى الوخيم.

(٥) البرم: السأم والضجر.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٠.

٦٤ ـ الحسين وأصحابه

وعندما انتهى الحسين عليه السلام من خطبته التفّ حوله أصحابه، والفدائيون عنه. فقال زهير بن القين رضوان الله عليه:

«قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله! مقالتك، والله لو كانت الدنيا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلاّ أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها»[١].

وتكلم برير بن خضير (رحمه الله):

«والله يابن رسول الله! لقد منّ الله بك علينا، أن نقاتل بين يديك، وتقطّع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة»[٢].

وقام نافع بن هلال رضوان الله عليه، وقال:

«سر بنا راشداً معافى، مشرقاً أن شئت أو مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك»[٣].

فدعا الحسين عليه السلام لهم خيراً، ثم نظر إلى أهل بيته وإخوته وبني عمومته وقال:

«اللّهم إنا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أزعجنا وطردنا واخرجنا عن حرم جدّنا، وتعدت بنو امية علينا، اللّهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين»[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ثورة الحسين عليه السلام، محمّد مهدي شمس الدين: ١٩٣.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٢.

٦٥ ـ كتاب الحر إلى ابن زياد

ولّما استقر المكان بالحسين عليه السلام وركبه الثائر، كتب الحر بن يزيد التميمي قائد الكتيبة الأولى، إلى عبيد الله بن زياد يخبره بقدوم الحسين عليه السلام، ونزوله بعرصات كربلاء.

٦٦ ـ كتاب ابن زياد إلى الحسين عليه السلام

ولّما وصل كتاب الحر إلى عبيد الله بن زياد، وجّه كتاباً إلى الحسين عليه السلام جاء فيه:

«أمّا بعد: فلقد بلغني يا حسين! نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو أن ترجع إلى حكمي، وحكم يزيد، والسلام»[1].

ولّما وصل الكتاب إلى الحسين وقرأه.

ألقاه من يده وقال:

«لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

فقال الرسول:

الجواب يا أبا عبد الله.

فقال عليه السلام:

ما له عندي جواب؛ لأنّه قد حقت عليه كلمة العذاب»[2].

فرجع الرسول إلى عبيد الله وأخبره بما قال الحسين عنه، فازداد غضباً وحقداً.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٦.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٢.

٦٧ ـ خروج عمر بن سعد وبإمرته أربعة آلاف فارس لحرب الحسين عليه السلام

ثم أنّ ابن زياد جمع الرجال والكتائب؛ لحرب الحسين عليه السلام، وبعث خلف عمر بن سعد بن أبي وقاص. وكان قد كتب له عهداً على الري، ولمّا كان من أمر الحسين عليه السلام، قال له عبيد الله: سر إلى الحسين عليه السلام، فإذا فرغنا منه، رجعت إلى عملك. فقال له عمر بن سعد: إن رأيت أن تعفيني. فقال عبيد الله: نعم على أن ترد عهدنا.

فقال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر. وانصرف يستشير نصحاءه، فنهوه عن الخروج إلى حرب الحسين. وجاء إليه ابن اخته حمزة ابن المغيرة بن شعبة، فقال: «انشدك الله يا خال! أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك، وتقطع رحمك، فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين».

فقال له عمر بن سعد: فإنّي افعل ان شاء الله[1].

وبات ليلته قلقاً مضطرباً؛ لأنّ نفسه في صراع بين الدنيا، وقتل الحسين وسُمع يقول:

فوالله ما أدري وإني لحائر ... أفكر في أمري على خطرين

أأترك ملك الري، والري منيتي ... أم ارجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب، وملك الري قرة عيني[2]

فجاء إلى عبيد الله وقال له: إنّك وليتني الري، وتسامع الناس به، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل، وابعث إلى الحسين من أشراف الكوفة، من لست بأغنى ولا أجزأ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٠.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٣، مقتل أبي مخنف: ٥١.

عنك في الحرب. وسمى له أشخاصاً، فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشراف الكوفة، إن سرت عندنا، وإلاّ فابعث إلينا بعهدنا. فلمّا رآه قد أصر على رأيه قال: إنّي سائر[1].

فسار إلى الحسين ومعه أربعة آلاف فارس، حتى نزل كربلاء في اليوم الثالث من محرم سنة ٦١ هـ[2].

٦٨ ـ رسول عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام

ثم طلب من عزرة بن قيس الأحمسي، وكان من جيشه، أن يذهب إلى الحسين ويسأله عمّا جاء به، وماذا يريد؟ فاستحى من أن يأتيه؛ لأنّه ممّن كاتبوا الحسين بالمجيء، ثم طلب أيضاً من الرؤساء أن يذهبوا إلى الحسين عليه السلام، ويسألوه عن مقدمه. فأبوا وكرهوا؛ لأنهم أيضاً ممّن كاتبوه[3] بالتوجه إليهم. فقال لقرة بن قيس الحنظلي: ويحك الق حسيناً واسأله ما جاء به، وماذا يريد؟ فجاء إلى الحسين عليه السلام، وسلم عليه وأبلغه رسالة عمر ابن سعد.

فقال الحسين عليه السلام:

«كتب إلي أهل مصركم هذا، أن أقدم، فإما اذ كرهوني فأنا انصرف عنهم»[4].

ثم قال حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرة بن قيس، أنّى ترجع إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل، الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك. فقال له قرة: ارجع إلى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٠.

(٤) نفس المصدر: ٣١١.

(٥) نفس المصدر.

فانصرف إلى عمر بن سعد واخبره بما قال الحسين عليه السلام. فقال عمر ابن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

٦٩ ـ كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد

ثم أنّ عمر بن سعد كتب كتاباً إلى عبيد الله بن زياد، جاء فيه[1]:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

أمّا بعد: فإني حيث نزلت بالحسين عليه السلام، بعثت إليه رسولي، فسألته عمّا أقدمه، وماذا يطلب ويسأل؟

فقال: كتب إليّ أهل هذا البلاد، وأتتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت. فأمّا اذ كرهوني، وبدا لهم غير ما اتتني به رسلهم، فأنا منصرف عنهم»[2].

فلمّا قرئ الكتاب على ابن زياد، استشهد بهذا البيت:

الآن إذ علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة، ولات حين مناص

٧٠ ـ كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد (الأول)

ثم إنّ ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد، رداً على كتابه، وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية، هو وجميع أصحابه. فإذا فعل ذلك، رأيْنا رأيَنا، والسلام»[3].

فلمّا قرأ عمر بن سعد الكتاب، قال: قد حسبت أن لا يقبل ابن زياد العافية.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

٧١ ـ ابن زياد يمني الناس بالخروج لحرب الحسين عليه السلام

ثم أنّ ابن زياد أخذ الناس بالشدة، فكان يقتل على الظنة والتهمة، فهابه الناس، وصاروا لأمره مطيعين ومنقادين، فجمعهم في مسجد الكوفة؛ ليمنيهم بالمال ويغريهم به. فقام فيهم خطيباً وقال: «أيها الناس! إنكم بلوتم آل أبي سفيان، فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه، حسن السيرة، محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، وقد أمنت السبل على عهده. وكذلك كان أبوه معاوية في عصره. وهذا ابنه يزيد يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مئة مئة، وأمرني أن أوفرها عليكم، وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين. فاسمعوا له وأطيعوا»[١].

٧٢ ـ القوات الأموية تزحف إلى كربلاء

ثم أنّ عبيد الله بن زياد أخذ يرسل الكتيبة تلو الكتيبة، والفوج تلو الفوج إلى عمر بن سعد، ويحث الناس على الخروج لحرب الحسين عليه السلام، وزاد في عطائهم مئة مئة[٢]. ثم نودي في شوارع وسكك وأزقة الكوفة: «ألا برئت الذمة ممّن وجد في الكوفة، ولم يخرج لحرب الحسين».

وادخل رجل على ابن زياد، فسأله: من أين الرجل؟ فقال: إني رجل من أهل الشام، جئت لدين لي في ذمة رجل من أهل العراق.

فقال ابن زياد: اقتلوه، ففي قتله تأديب لمن لم يخرج بعد. فقتل[٣].

فتأثر الرأي العام بالجو اللا شعوري، أو ما يسمى بالسلوك الجمعي. وإذا

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٩، تاريخ الطبري ٤: ٣١١.

(٢) ثورة الإمام الحسين عليه السلام، عبدالهادي الفضلي: ١٦، وانظر الوثيقة (٧١) من هذا الكتاب.

(٣) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمّد السماوي: ١٠.

بالغوغائية جماعات وجماعات، تخرج لحرب ابن بنت نبيها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، غير ملتفتة إلى ما ينتج من هذا المصير الوخيم، الذي أقبلت إليه مسرعة. وفقد الفرد سيطرته على نفسه وعقله، وأصبح يعيش في حالة هستيرية، لا يعي ولا يشعر؛ لأنّه تأثر بالعقل الجمعي وسلوكه، وخصوصاً بعد أن قتل جماعة من النخبة الواعية أمثال: ميثم التمار وغيره، واعتقل البقية مثل: المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وسليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية وغيرهم.

فقد ذكر الشيخ المظفر (رحمه الله)؛ ما نصه: «ولمّا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة، وظفر بمسلم بن عقيل، رسول الحسين وداعيته، فأخذ يقتل من يظن ولاءه لأمير المؤمنين عليه السلام ويحبس من يتهمه به. حتى ملأ السجون منهم، خشية أن يتسللوا لنصرة الحسين عليه السلام، ومن ثم تجد قلة في أنصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة، ولقد كان في حبسه اثنا عشر ألفاً كما قيل وما أكثر الوجوه والزعماء فيهم، أمثال: المختار، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وإبراهيم بن مالك الأشتر[(١)].

وقد اختفى الآخرون، وصفا الجو إلى ابن زياد، حيث أخذ يلعب بالطبقة، التي سماها أمير المؤمنين علي عليه السلام «بالهمج الرعاع، اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستنيروا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[(٢)].

٧٣ ـ التعداد الكمي للجيش الأموي في كربلاء

الاحصائيات التي يرويها أرباب المقاتل وبعض الكتب التاريخية، عن عدد الجيش الأموي، الذي أرسله عبيد الله بن زياد إلى كربلاء؛ لحرب الحسين عليه السلام،

(١) تاريخ الشيعة، محمّد حسين المظفر: ٣٤.

(٢) نهج البلاغة، محمّد عبدة ٣: ١٧٢.

وللقضاء على ثورته المقدسة، وهي على حسب الترتيب الزمني.

اسم القائد	عددها
كتيبة الحر بن يزيد التميمي	١٠٠٠ مقاتل
كتيبة عمر بن سعد قائد الجيش	٤٠٠٠ مقاتل
كتيبة شمر بن ذي الجوشن	٤٠٠٠ مقاتل
كتيبة يزيد بن ركاب الكلبي	٢٠٠٠ مقاتل
كتيبة الحصين بن نمير التميمي	٤٠٠٠ مقاتل
كتيبة مغاير بن رهينة المازني	٣٠٠٠ مقاتل
كتيبة نصر بن حرشة	٢٠٠٠ مقاتل
كتيبة كعب بن طلحة	٣٠٠٠ مقاتل
كتيبة شبث بن ربعي الرياحي	١٠٠٠ فارس
كتيبة حجار بن ابجر	١٠٠٠ فارس
المجموع:	٢٥٠٠٠ مقاتل وفارس

وما زال عبيد الله بن زياد يرسل إليه الخيل والرجال، حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً، ما بين فارس وراجل[١]، على رواية الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام[٢].

كما أنّ بقية الجيوش الأموية كانت في حالة إنذار واستنفار عام، كما يقال. وفي رواية الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(١) انظر تفصيل ذلك في مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٤ ـ ٩٥، ومقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٤١، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، للإمام كاشف الغطاء: ١٤.

«ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم أُحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله. وبعده يوم مؤتة: قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب».

ثم قال:

«ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألفاً، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عزّ وجل بدمه، وهو والله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً»[(١)].

ذكر البلاذري (المتوفى ٣٧٩ هـ) في كتابه أنساب الأشراف[(٢)]: أنّ عبيد الله بن زياد سرح إلى الحسين في كربلاء: ١٠٠٠ فارس بقيادة الحر و٤٠٠٠ فارس بقيادة عمر بن سعد و٤٠٠٠ مقاتل بقيادة حصين بن تميم و١٠٠٠ مقاتل بقيادة حجار بن أبجر العجلي و١٠٠٠ مقاتل بقيادة شبث بن ربعي. ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين، فلم يبقَ بالكوفة محتلم إلاّ خرج إلى المعسكر بالنخيلة، يمد بهم عمر بن سعد في كربلاء[(٣)].

٧٤ ـ كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد (الثاني)

ثم أنّ عبيد الله بن زياد، أرسل كتاباً إلى عمر بن سعد، جاء فيه: «أمّا بعد: أنّي لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلاّ وخبرك عندي غدوة وعشية»[(٤)]. وكان يستحثه لستة أيام مضين من المحرم سنة ٦١ هجرية.

(١) بحار الأنوار ٩: ١٤٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب انساب الأشراف، البلاذري، المجلد الأوّل، النسخة الخطية الموجودة في مكتبة رئيس الكتاب، في المكتبة السليمانية في استنابول، برقم ٥٩٧.

(٣) راجع الوثيقة ٧٣ من هذا الكتاب.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٥.

٧٥ـ حبيب بن مظاهر الأسدي

ثم إنّ حبيب بن مظاهر الأسدي، لّما رأى كثرة الأعداء، وقد أحاطوا بالحسين من كل جانب. جاء إلى الحسين عليه السلام قائلا: يابن رسول الله! هاهنا حي من بني أسد بالقرب منّا، فاذن لي بالمسير إليهم؛ لأدعوهم إلى نصرتك. فعسى الله أن يدفع عنك. فأذن له الحسين عليه السلام، فخرج إليهم حبيب في جوف الليل، وعرّفهم بنفسه. وقال:

«إنّي قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم. أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً.

وهذا عمر بن سعد قد أحاط به، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد اتيتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم في نصرته، تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة. فإنّي أقسم بالله، لا يقتل أحد منكم في سبيل الله، مع ابن بنت رسول الله، صابراً محتسباً، إلاّ كان رفيقاً لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم في عليين»[١].

فقام إليه عبد الله بن بشر وقال: أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة. ثم تبادر رجال الحي، حتى أكملوا التسعين، وأقبلوا إلى الحسين عليه السلام، وخرج رجل إلى ابن سعد وأخبره بهم، فبعث عمر بن سعد أربعمائة فارس مع الأزرق، فالتقوا معهم، قبل وصولهم إلى الحسين عليه السلام، فتناوشوا واقتتلوا، ثم انهزموا إلى حيهم؛ لأنهم علموا أن لا طاقة لهم بالقوم[٢]. فرجع حبيب إلى الحسين وأخبره بخبرهم، فقال الحسين عليه السلام:

«لا حول ولا قوة إلاّ بالله».

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ٩٦.

٧٦ ـ التعداد الكمي للجيش الحسيني

وأمّا التعداد الكمي للجيش الحسيني، الذي قاتل مع الحسين أعداءه، فقد اختلف الرواة وأرباب المقاتل في تحديده الكمي.

فقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن الأثير في تاريخه الكامل[١] وغيرهم، أنهم اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلا. وبعضهم قال بأكثر من هذا العدد. وآخرون قالوا بأقل. ولكني قمت بعملية جرد؛ لإحصاء جميع أسماء أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته، الذين حاربوا معه في يوم العاشر من محرم، وقد ذكرهم بأسمائهم، المرحوم الشيخ محمّد السماوي[٢]، فكان عددهم لا يتجاوز المئة وعشر أنفار، راجلا وفارساً. وسنذكر أسمائهم جميعاً في القسم الثاني من كتابنا[٣]. وهم على طائفتين:

١ ـ من بني هاشم وعددهم ستة عشر (١٦) نفراً.

٢ ـ من الأنصار، وهم من مختلف القبائل والأجناس، وعددهم أربعة وتسعون (٩٤) نفراً.

ثم إنّ الحسين عليه السلام صف رجاله وفرسانه إلى جبهات ثلاث:

جبهة الميمنة: وعليها زهير بن القين ومعه عشرون رجلا.

جبهة الميسرة: وعليها حبيب بن مظاهر، وقيل: هلال بن نافع البجلي، ومعه عشرون فارساً.

جبهة القلب: ووقف فيه هو عليه السلام وأهل بيته وبقية أصحابه، وأعطى رايته بيد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام[٤].

---

(١) انظر الإرشاد، الشيخ المفيد، الكامل، ابن الأثير ٣: ٢٨٦، مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرّم: ٢٧٥.

(٢) انظر التفصيل مع الترجمة في كتابه ابصار العين في أنصار الحسين.

(٣) الوثائق الرسمية لنتائج ثورة الحسين لم يطبع.

(٤) مقتل أبي مخنف: ٦٣، مقتل الحسين عليه السلام، للمقرم: ٢٧٥، الطبري ٤: ٣٢٠.

٧٧ ـ كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد (الثالث)

ثم أنّ عبيد الله بن زياد، أخذ يرسل الكتاب تلو الكتاب والرسل، يحث عمر بن سعد على مقاتلة الحسين عليه السلام، فبعث إليه كتابا آخر، جاء فيه: «أمّا بعد: فحل بين الحسين وأصحابه، وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان»[١].

ولّما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد، أمر عمرو بن الحجاج ومعه خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولم يسقوا منه قطرة، وذلك في اليوم السابع من محرم.

نذالة عبد الله بن أبي الحصين الأزدي

ثم إنّ عبد الله بن أبي الحصين الأزدي، نادى في لؤم وخسة نفس، وخبث سريرة: يا حسين! أما تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة، حتى تموت عطشاً.

فتأثر الحسين عليه السلام من كلامه وقال:

«اللّهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً».

فمرض فجعل يسقى ماء، فلا يرتوي حتى مات على هذا الحال عطشاً[٢].

وفي رواية الطبري: وبعد دعاء الحسين عليه قال: حميد بن مسلم: والله لعُدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلاّ هو، لقد رأيته يشرب حتى بغِر، ثم يقيء، ثم يعود فيشرب، حتى يبغر فما يروى. فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غُصته، يعني نفسه[٣].

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١١.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٣، تاريخ الطبري ٤: ٣١٢.

(٣) نفس المصدر.

ولّما اشتد العطش بالحسين ومن معه، دعا أخاه العباس فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلا، معهم القرب. فجاءوا إلى النهر وملؤا القرب بالماء، وجاءوا بها إلى الحسين عليه السلام، بعد أن حمل العباس وأصحابه على الموكلين بالشريعة وأزاحوهم عنها[١].

٧٨ـ محاورة بين الحسين وعمر بن سعد في كربلاء

ولما تأزم الموقف وتدهور، أرسل الحسين عليه السلام، عمر بن قرضة الأنصاري، إلى عمر بن سعد يستدعيه للقائه، وقال عليه السلام له: أن ألقني هذه الليلة بين عسكري وعسكرك، فجاء الحسين وعمر بن سعد وجلسا بين العسكرين[٢].

فقال له الحسين عليه السلام:

«ويلك يابن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنّه أقرب لك إلى الله».

عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري.

الحسين عليه السلام:

أنا أبنيها لك.

عمر بن سعد: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

الحسين عليه السلام:

أُخلف عليك خيراً منها، من مالي بالحجاز[٣].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٣، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٠.

(٣) نفس المصدر.

عمر بن سعد: لي عيال، وأخاف عليهم. ثم سكت عنه ولم يجبه.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول:

«ما لك، ذبحك الله على فراشك عاجلا، ولا غفر لك يوم حشرك. فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلاّ يسيراً».

فقال عمر بن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية عن البر.

٧٩ ـ كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد يفتري فيه على الحسين

وقيل: أنّ عمر بن سعد اجتمع مرة أخرى مع الحسين عليه السلام، وأسفر اجتماعهما عن كتاب أرسله عمر بن سعد إلى ابن زياد، يفتري فيه على الحسين؛ وذلك ظناً منه أن لا يصطدم بقتال مع الحسين عليه السلام، مع محافظته على ولاية الري. فقد حاول أن يجمع بين الاثنين: عدم التورط بدم الحسين عليه السلام، مع التقرب إلى عبيد الله بن زياد؛ ليؤمّره على الري.

فلهذا افترى هذه الفرية على الحسين عليه السلام، بإرساله هذا الكتاب إلى ابن زياد، وهذا نصه: «أما بعد: فإنّ الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة. هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلا من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضى، وللأمة صلاح»[١].

وكيف يتفق هذا الكتاب مع (الوثيقة ١٢) للحسين، عندما قال لوالي يزيد على المدينة، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان:

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٤، تاريخ الطبري ٤: ٣١٣.

«أيها الأمير! إنّا أهل بيت النبوة» إلى أن يقول: «ويزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله»(١).

ثم أنّ خبر هذا الكتاب أشاعه الأمويون، وأرادوا أن يوهموا به الناس، أنّ الحسين خشع وخضع، وحنى رأسه لسلطان يزيد؛ ليشوهوا بذلك الموقف البطولي، الذي وقفه هو وأصحابه.

وقد حرص الأمويون وأعوانهم، على إخفاء كثير من ملامح ثورة الحسين عليه السلام وملابساتها، وأذاعوا كثيراً من الأخبار المكذوبة عنها؛ ليوقفوا عملها التدميري في ملكهم وسلطانهم، ولكن لم يفلحوا(٢).

وقد تصدى لتكذيب هذا الكتاب، أحد أصحاب الحسين وهو: عقبة ابن سمعان، كما جاء في تاريخ الطبري. قال: «صحبت حسيناً، فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل. وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر، إلى يوم مقتله عليه السلام، إلاّ وقد سمعتها. لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة، حتى ننظر ما يصير أمر الناس»(٣).

ولّما وصل كتاب عمر بن سعد هذا إلى عبيد الله بن زياد فرح به، وقال: هذا كتاب رجل ناصح، ومشفق على قومه، ولكن شمر بن ذي الجوشن فاجأه قائلا: أترضى منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك؛ ليكونن أولى بالقوة والعز. ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه

(١) انظر الوثيقة (١٢) من هذا الكتاب.

(٢) ثورة الحسين عليه السلام، محمّد مهدي شمس الدين: ١٧٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٤.

المنزلة، فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان لك. والله بلغني أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان ويتحدثان عامة الليل[1].

فقال له عبيد الله: نِعم ما رأيت، الرأي رأيك.

٨٠ـ كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد (الرابع)

ثم كتب كتاباً إلى عمر بن سعد، شديد اللهجة وهذا نصه:

«أمّا بعد: فإنّي لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه، ولا لتطأوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً. انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم، وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون. فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاق شاق، قاطع ظلوم. وليس دهري في هذا، أن يضر بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به، إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك، جزاء السامع المطيع. وإن أنت أبيت، فاعتزل عملنا وجندنا، وخلِ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر. فإنّا قد أمرناه بأمرنا، والسلام»[2].

وأرسله بيد شمر بن ذي الجوشن، وأقبل شمر به إلى عمر بن سعد، ولمّا قرأه قال لشمر:

«ويلك! ما لك لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به عليّ، والله إني لأظنك أن ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنّا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله الحسين عليه السلام، إنّ نفساً أبية لبين جنبيه»[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٤.

(٣) نفس المصدر: ٣١٥.

فقال له الشمر: ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه، وإلاّ فخلِ بيني وبين الجند والعسكر.

فقال عمر بن سعد: لا، ولا كرامة لك! أنا أتولى ذلك، وكن أنت على الرجالة[١].

ثم إنّ شمراً أقبل على أصحاب الحسين وقال: أين بنو اختنا، ويعني بهم: العباس واخوته، من أم البنين بنت حزام الكلابية. فخرج إليه العباس وإخوته جعفر وعثمان وقالوا: ما تريد؟ قال: أنتم يا بني اُختنا آمنون. قال له العباس وأخوته: لعنك الله، ولعن أمانك؛ لئن كنت خالنا، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له[٢]؟!

٨١ ـ برير بن خضير يصرخ بالجيش الأموي

وعندما ضيقوا الخناق على النهر؛ لكي لا يتسرب الماء إلى الحسين وأصحابه ولو قطرة. ونال العطش من الحسين وأهله وأصحابه. فقال برير ابن خضير الهمداني للحسين عليه السلام: يابن رسول الله! أتأذن لي أن أخطب بالقوم، فأذن عليه السلام له. فخرج برير رضوان الله عليه ونادى بالجيش الأموي قائلا: «يا معشر الناس! إنّ الله عزّ وجل بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً. وهذا ماء الفرات، تقع فيه خنازير السواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابنه».

فأجابوه: يا برير قد أكثرت الكلام فاكفف، والله ليعطش الحسين عليه السلام، كما عطش من كان قبله[٣].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٨.

٨٢ ـ الحسين يناشد الجيش الأموي في كربلاء

ولّما سمع الحسين جواب القوم إلى برير، ورأى عنادهم وإصرارهم على الغي والضلال، أراد أن يثير عاطفتهم الدينية؛ علهم يرجعون إلى صوابهم ورشدهم، فقال لبرير: اقعد. وقام متكئاً على سيفه، وخاطبهم مناشداً إياهم، بأسلوب عاطفي مثير قائلا:

أنشدكم الله هل تعرفوني؟

الجيش الأموي قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه.

الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدي رسول الله؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم. الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أمي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم. الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي علي بن أبي طالب عليه السلام؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم. الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدتي خديجة بنت خويلد، أول نساء هذه الامة إسلاماً؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم. الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ سيد الشهداء حمزة عم أبي؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم.

الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جعفر الطيار في الجنة عمي؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم. الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا متقلده؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم.

الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا لابسها؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم.

الحسين عليه السلام:

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ علياً كان أول القوم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟

الجيش الأموي: اللّهم نعم.

الحسين عليه السلام:

فبم تستحلون دمي؟ وأبي الذائد عن الحوض، يذود عنه رجالا، كما يذاد البعير الصاد عن الماء. ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة!!

الجيش الأموي: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً[1].

---

(١) المجالس الفاخرة، شرف الدين: ٩٩، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ٩٩.

٨٣ ـ الجيش الأموي يزحف لقتال الحسين عليه السلام

شعر عمر بن سعد أنّ الجو غير صاف له، بعد أن وصله كتاب ابن زياد بيد شمر بن ذي الجوشن. وكان فيه شيء من التلميح بعزله وتخليه عن قيادة الجيش، كمّا ورد في بعض فقرات الكتاب: «وإن أنت أبيت، فاعتزل عملنا وجندنا، وخلِ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر»[١]. فخشى أن تفوته الفرصة، وتذهب منه قيادة الجيش، ويحرم من عهد ولاية الري؛ فلهذا نراه أخيراً اخذ يتحمس كثيراً لقتال الحسين عليه السلام[٢].

بينما الحسين عليه السلام جالس عصر يوم التاسع من محرم بعد صلاة العصر أمام خبائه، ومحتبياً بسيفه، وقد وضع رأسه بين ركبتيه. وإذا بعمر ابن سعد ينادي: يا خيل الله اركبي وابشري، وركب الناس معه، وزحفوا نحو خيام الحسين عليه السلام[٣].

٨٤ ـ زينب توقظ الحسين عليه السلام

وبينما الحسين واضع رأسه بين ركبتيه، سمعت الحوراء زينب بنت علي وأخت الحسين عليهم السلام، الصيحة وضجة الخيل، فدنت من أخيها وقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ فنهض الحسين قائماً، وقال لها:

«إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: أنّك تروح إلينا».

فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا. فقال الحسين عليه السلام:

«ليس لك الويل يا اخيتي! اسكني رحمك الرحمان»[٤].

---

(١) انظر الوثيقة (٨٠) من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٥.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

٨٥ ـ العباس يقابل الجيش الأموي

وجاء العباس بن علي إلى أخيه الحسين عليه السلام قائلا:

يا أخي أتاك القوم.

فقال له الحسين عليه السلام:

يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم، وتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ تسألهم عمّا جاء بهم.

فاستقبلهم العباس عليه السلام في عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر رضوان الله عليهم، قائلا:

ما بدا لكم؟ وما تريدون؟

الجيش الأموي: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه، أو ننازلكم (أي نقاتلكم).

العباس بن علي عليهما السلام:

لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم. وجاء إلى أخيه الحسين مسرعاً[1].

٨٦ ـ حبيب بن مظاهر وزهير بن القين يكلمان الجيش الأموي

واغتنم حبيب بن مظاهر فرصة عودة العباس عليه السلام إلى أخيه الحسين عليه السلام؛ ليخبره بما قال القوم. فالتفت إلى زهير بن القين قائلا:

كلّم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم.

زهير بن القين قال لحبيب:

أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم.

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٦.

حبيب بن مظاهر يخاطب الجيش الأموي

«أما والله، لبئس القوم عند الله غداً، قوم يقدمون عليه، قد قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وكبار أهل هذا المصر، المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً»[١].

فقال له عزرة بن قيس: إنّك لتزكي نفسك بما استطعت.

فأجابه زهير بن القين:

يا عزرة! إنّ الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة! فإني لك من الناصحين. أنشدك الله يا عزرة! أن لا تكون ممّن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية.

قال عزرة لزهير:

ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنت عثمانياً.

قال زهير لعزرة:

فلست تستدل بموقفي هذا، إني منهم؟ أما والله! ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانه منه، وعرفت ما يقوم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه؛ حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ٣١٦.

٨٧ ـ العباس يعود بالجواب إلى الجيش الأموي

ولمّا أخبر العباس أخاه الحسين بما ذكر القوم. قال له الحسين عليه السلام:

«يا أخي ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنا هذه العشية؛ لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»[١].

رجع العباس عليه السلام إلى الجيش الأموي، وقال لعمر بن سعد ما قاله الحسين.

فتوقف عمر بن سعد عن إعطاء هذه المهلة، وسأل شمر قائلا: ما ترى أنت؟ قال شمر: أنت الأمير والرأي رأيك. ثم توجه إلى زعماء الجيش الأموي قائلا: ماذا ترون؟ فأجابه الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله لو كانوا من الديلم، ثم سألوك هذه المنزلة؛ لكان ينبغي لك أن تجيبهم. فكيف وهم آل محمّد؟ وقال قيس بن الأشعث: أجبهم، لعمري لنصبحنك بالقتال. فأجابوهم إلى ذلك[٢].

٨٨ ـ الحسين يختبر أصحابه وأهله

وعندما أيقن عليه السلام أنّ هؤلاء القوم الذين احتوشوه مصرون على قتاله، وأنّه لابد من أن يدافع عن دينه وأهله، بكل ما يملك. أجرى عملية اختبار وامتحان، على أصحابه وأهل بيته، من أبناء إخوته وعمومته؛ ليطمئن قلبه أنّهم يصمدون عند الوثبة واصطكاك الأسنة، وأنّهم لن يخذلوه ولن يتركوه وحده. فألقى خطاباً فيهم بعد أن جمعهم في مساء يوم التاسع قائلا:

«اثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء. اللّهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين،

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٤، تاريخ الطبري ٤: ٣١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٦.

وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين».

«أمّا بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً. ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم؛ حتى يفرج الله. فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قد أصابوني، لهو عن طلب غيري»[1].

٨٩ ـ أهل البيت يجيبون الحسين عليه السلام

ولّما سمع إخوة الحسين وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر هذه الخطبة من الحسين عليه السلام، وعرفوا فحواها، قاموا وشمروا عن سيوفهم. يتقدمهم أبو الفضل العباس، وقالوا بلسان واحد:

«لم نفعل ذلك؛ لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً»[2].

ثم إنّ الحسين عليه السلام التفت إلى آل عقيل وقال:

«حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم».

فأجابوه: سبحان الله! فما يقول الناس لنا؟! وما نقول لهم؟! إنّا تركنا شيخنا وسيدنا، وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟! لا والله ما نفعل، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك. فقبح الله العيش بعدك[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٧، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٨، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٥.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٥، تاريخ الطبري ٤: ٣١٨.

٩٠ ـ أصحاب الحسين يجيبونه

ولّما سمع أصحاب الحسين خطبته هذه، وعرفوا مقصده، فإنّهم أبوا إلاّ الفوز بالشهادة بين يديه.

فقاموا يتسابقون في اجابته عليه السلام.

جواب مسلم بن عوسجة

فقام إليه مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه، وقال:

أنحن نخلي عنك، وقد أحاط بك هذا العدو، ولما نعذر إلى الله في أداء حقك؟ أما والله! حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به؛ لقذفتهم بالحجارة دونك، حتى أموت معك[1].

جواب سعد بن عبد الله الحنفي

ثم إنّ سعد بن عبد الله الحنفي أجاب الحسين عليه السلام بقوله:

«لا والله يابن رسول الله! لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك. والله! لو علمت أنّي اقتل ثم احيا ثم احرق حياً ثم اذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك؛ حتى ألقى حِمامي دونك. فكيف لا أفعل ذلك؟ وإنّما هي قتلة واحدة! ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٨، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٨، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٥.

جواب زهير بن القين

وقام زهير بن القين رضوان الله عليه وقال:

والله يابن رسول الله، لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى اقتل كذي ألف قتلة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك[1].

جواب بقية الصحابة

ثم إنّ بقية صحابة الحسين عليه السلام قاموا وقالوا بلسان يشبه بعضه بعضاً:

والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وايدينا. فإذا نحن قتلنا بين يديك، وفيّنا لربنا وقضينا ما علينا[2].

ثم إنّ الحسين عليه السلام أمر أصحابه أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت، إلاّ الوجه الذي يأتيه منه عدوهم.

٩١ ـ الحسين ونافع بن هلال

ثم إنّه عليه السلام خرج ليلا وحده؛ ليختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل، وإذا بنافع خلفه، فقال له الحسين عليه السلام:

مَن الرجل؟ نافع؟

نافع:

نعم جعلت فداك يابن رسول الله.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٨، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٦.

(٢) نفس المصدر.

الحسين عليه السلام:

نافع! ما أخرجك في هذا الليل؟

نافع:

سيدي أزعجني خروجك ليلا إلى جهة هذا الباغي.

الحسين عليه السلام:

خرجت اتفقد هذه التلعات؛ مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل على مخيمنا، يوم يحملون وتحملون.

ثم إنّه رجع وهو قابض على يساري وهو يقول:

هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال لنافع:

يا نافع! ألا تسلك بين هذين الجبلين، وانجُ بنفسك.

نافع:

سيدي إذن ثكلت نافعاً أمه، إن سيفي بألف، وفرسي بمثله، فوالله الذي منّ عليّ بك في هذا المكان، لن أفارقك أبا عبد الله حتى يكلاّ عن فري وجري[1].

٩٢ ـ شهادة الحسين بأصحابه

ثم إنّه عليه السلام فارق نافع، ودخل خيمة أخته زينب (عليها السلام)، فوضعت له متكأ وجلس يحدثها سراً، ونافع واقف ينتظر خروج الحسين عليه السلام.

---

(١) المجالس الفاخرة، الإمام شرف الدين: ٩٢.

زينب تقول لأخيها الحسين عليه السلام:

يابن أمي! هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فإنّي أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة.

الحسين عليه السلام:

يا اخية! أما والله لقد بلوتهم، فما رأيت فيهم إلاّ الأشوس، يستأنسون بالمنية دوني، استئناس الطفل بلبن أمه[1].

٩٣ ـ الأصحاب يقفون عند خيام حرم رسول اللّه

فلمّا سمع نافع حديث زينب لأخيها الحسين عليه السلام، وجواب الحسين لها، أقبل مسرعاً إلى حبيب بن مظاهر الأسدي، وأخبره بما سمع، إلى قول الحسين عليه السلام:

«يستأنسون بالمنية دوني، استئناس الطفل بلبن أمه».

قال حبيب:

أي والله! لولا انتظار أمره؛ لعاجلتهم وعالجتهم بسيفي هذا، ما ثبت قائمه بيدي.

نافع يقول لحبيب:

يا أخي تركت بنات رسول الله في وجل ورهب، فهلاّ نمضي جميعاً؛ لنسكن قلوبهن ونذهب رعبهن.

حبيب:

سمعاً وطاعة.

ونادى بأصحاب الحسين عليه السلام:

أين أنصار الله؟ أين أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أين أنصار

---

(١) نفس المصدر: ٩٣.

فاطمة؟ أين أنصار الحسين؟ أين أنصار الإسلام؟

فتطالعوا من منازلهم كالليوث الضارية، ومعهم العباس بن علي.

حبيب قال لبني هاشم:

ارجعوا إلى منازلكم، لا سهرت عيونكم.

وبقي حبيب ومعه الأصحاب فخطب فيهم قائلا:

يا أصحاب الحمية، وليوث الكريهة، هذا نافع بن هلال يخبرني الساعة بكذا وكذا، فاخبروني عن نياتكم.

الأصحاب جردوا صوارمهم ورموا عمائمهم، وقالوا:

أما والله يابن مظاهر! لئن زحف القوم إلينا؛ لنحصدن رؤوسهم، ولنلحقهم بأشياخهم، ولنحفظن رسول الله في عترته وذريته.

حبيب:

معي، معي إلى حرم رسول الله؛ لنهدأنّ رعبهن.

فسار حبيب ومعه الأصحاب حتى وقفوا بين أطناب المخيم ونادى:

السلام عليكم يا ساداتنا، السلام عليكم يا معشر حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذه صوارم فتيانكم، آلوا أن لا يغمدوها إلاّ في رقاب من يبتغي السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم، آلوا أن لا يركزوها إلاّ في صدور من يفرق ناديكم[١].

فخرج الحسين إليهم وقال:

أصحابي! جزاكم الله عن أهل بيت نبيكم خيراً.

---

(١) نفس المصدر: ٩٤.

٩٤ـ الحسين وأخته زينب

لّما أيقن الإمام الحسين عليه السلام بأنّ القوم ليسوا بتاريكه، وأنّه مقتول لا محالة؛ لكثرة عددهم[١]، وقد استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله. وقلة ناصريه وأعوانه.

وأتى عليه السلام يخبر أخته زينب تدريجياً بالمصير الذي سيؤول إليه، من قتله وقتل جميع أهل بيته وأصحابه من الرجال؛ لئلا يكون إخبارها صدمة مفاجئة قد تودي بحياتها.

وهي المسؤولة الوحيدة في حفظ عياله وأطفاله، وتكميل رسالته المقدسة، وبيان أحقيتها وواقعيتها؛ لئلا يشوهوا واقعها الأمويون وأنصارهم. فجلس عليه السلام بإزاء خيمتها، وهو يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمرُ إلى الجليل ... وكل حيّ سالك السبيل[٢]

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، فسمعتها أخته زينب (عليها السلام) وأقبلت عليه حاسرة، وهي تقول: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي[٣].

الحسين عليه السلام:

يا اخية! لا يذهبن حلمك الشيطان.

---

(١) انظر التعداد الكمي للجيش الأموي في كربلاء من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٩.

(٣) نفس المصدر.

زينب عليها السلام:

بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله استقتلت، نفسي فداك.

الحسين عليه السلام:

رد غصته وترقرت عيناه.

وقال عليه السلام:

لو ترك القطا ليلاً لنام.

زينب عليها السلام:

يا ويلتا! أفتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشد على نفسي. ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته، وخرت مغشياً عليها.

الحسين عليه السلام قام إليها وصب الماء على وجهها، فأفاقت.

قال لها:

«يا أخية! اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي إنّ أهل الأرض يموتون، وإنّ أهل السماء لا يبقون، وإنّ كل شيء هالك إلاّ وجهه، الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده.

أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني. ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعزاها بهذا وقال لها:

يا أخية! إني أقسم عليك، فأبري قسمي، لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجها، ولا تدعي بالويل والثبور، إذا أنا هلكت»[١].

(١) نفس المصدر.

٩٥ ـ الإمام الحسين وتفسيره لرؤياه

بينما الإمام الحسين عليه السلام جالس في عرصات كربلاء، إذ أخذته سِنة نوم، فاستيقظ منها، وقال لأصحابه وأهل بيته، الذين من حوله: رأيت رؤيا. فقالوا:

ما هي يابن رسول الله؟

فقال:

رأيت كأن كلاباً قد شدت عليّ تنهشني، وفيها كلب أبقع أشدها عليّ، وأظن الذي يتولى قتلي، رجل أبرض من هؤلاء القوم.

ثم إني رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمّد، وقد استبشرتْ بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر.

هذا ما رأيت، وقد أزف الأمر، واقترب الرحيل من هذه الدنيا[1].

٩٦ ـ ليلة الوداع.. ليلة صلاة وتلاوة

بات الحسين عليه السلام وأصحابه معه هذه الليلة، وهي الليلة العاشرة من محرم، وهم على يقين أنّهم ملاقوا ربهم غدوة هذه العشية. فلذا نراهم طلقوا حرائرهم ودنياهم بما فيها، وأقبلوا على الله بقلوب طاهرة ونيات صافية، أن يرزقهم الله الشهادة بين يدي ابن بنت نبيهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، يستأنسون بالمنية دونه استئناس الطفل بلبن أمه، كما وصفهم الحسين.

وباتوا ليلتهم هذه فرحين مسرورين، غير وجلين ولا خائفين، بما يلاقون في

---

(١) الفتوح ٥: ١٨١، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٧.

صبيحتهم هذه، مقبلين على الله بكل مشاعرهم وأفكارهم، فهم بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، وبين تال للقرآن ومستغفر، ولهم دوي كدوي النحل(١).

فتأثر بهذا الجو الواقعي نفر من الجيش الأموي، من ذوي الضمائر الحية، التي كانت عليها غشاوة ضلال، فانجلت بهذا الجو المشحون إيماناً وتقىً وهدى.

وبينما الحسين عليه السلام وأصحابه وهم على هذا الحال، وإذا بسرية من الجيش الأموي، عليها عزرة بن قيس الأحمسي، تراقب عن كثب حركات الحسين وأصحابه. فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية الشريفة:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٢).

٩٧ ـ محاورة بين برير وأبي حرب السبيعي

وكان في الجيش الأموي عبد الله بن شهر المكنّى بأبي حرب السبيعي، فسمع تلاوة الحسين فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم.

فأجابه برير بن خضير، وقد عرفه:

يا فاسق! أنت يجعلك في الطيبين؟

فقال أبو حرب: من أنت؟

برير:

أنا برير بن خضير.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١٦، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٠٦.

(٢) آل عمران (٣): ١٧٨ ـ ١٧٩.

قال أبو حرب: إنّا لله، عز عليّ هلكت، والله هلكت يا برير.

برير:

أبا حرب! هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام؟ فوالله إنّا لنحن الطيبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون.

أبو حرب: وأنا على ذلك من الشاهدين.

برير:

ويلك! أفلا تنفعك معرفتك؟

أبو حرب: جعلت فداك، فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل، ها هو معي.

برير:

قبح الله رأيك على كل حال، أنت سفيه[1].

وكان سفيهاً مضحاكاً.

حفر خندق

ثم إنه عليه السلام أمر أصحابه أن يحفروا خندقاً وراء البيوت، ويضعوا فيه الحطب ويضرموا فيه النار في الغداة؛ لئلا يهجم القوم من وراء الخيام[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر.

عاشوراء يوم الفداء والتضحية في سبيل الله

٩٨ ـ يوم اللقاء بين العسكرين

وطلع فجر اليوم العاشر من المحرم. صلّى الحسين بأصحابه صلاة الغداة، وقام فيهم قائلا :

بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

«إنّ الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي، في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال»[١].

فتباشر أصحابه بلقاء ربهم، وإنهم سيقدمون على روح وريحان وجنة عرضها السماوات والأرض، خالدين فيها أبداً. وإذا بهم فرحين بعضهم يداعب الآخر، فهذا برير بن خضير يمازح عبد الرحمن، أحد أصحاب الحسين.

عبد الرحمن :

يا برير! دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل.

برير :

والله لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلا، ولكن والله إنّي لمستبشر بما نحن لاقون، والله إنّ ما بيننا وبين الحور العين، إلاّ أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنّهم قد مالوا علينا بأسيافهم[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٢٧٥، تاريخ الطبري ٤: ٣٢١.

وكيف لا يكونوا فرحين مستبشرين، ما داموا يدافعون عن الحق وأهلة؛ لأنهم علموا أنّ الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ما دام الحكم الأموي موجوداً. فإنّ الحياة في ظله سأم وضجر، والموت في مكافحته حياة وسعادة؛ فلهذا نراهم يتسابقون في التضحية والفداء عن الإسلام ومقدساته، التي حاول الأمويون تشويهها وتغييرها.

٩٩ ـ الحسين ينظم جيشه الصغير

ثم إنّ الحسين عليه السلام نظر إلى أعوانه وأنصاره، فرآهم على قلة في العدد، ولكنهم كثيرون في إيمانهم وعقيدتهم، وإنّ الرجل منهم يعد بعشرات من هؤلاء الجبناء في نفوسهم وضمائرهم.

وإذا بجيش الحسين يبلغ في كمه العددي المائة وعشر أنفار (١١٠)، فقسمه إلى ثلاث جبهات:

جبهة اليمين: عليها زهير بن القين.

جبهة اليسار: عليها حبيب بن مظاهر الأسدي.

القلب: وقف هو وأهل بيته، وبقية أصحابه. والراية تخفق عليهم بيد أخيه أبي الفضل العباس؛ لأنه أثبت طعاناً، وأربط جأشاً وأشد مراساً[(١)].

١٠٠ ـ الجيش الأموي ينظم صفوفه

ثم إنّ عمر بن سعد أمر بتنظيم صفوف جيشه، الذي يتكون من ثلاثين ألف فارس وراجل. فجعل عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي على ربع أهل المدينة. وعبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي على ربع مذحج وأسد. وقيس بن الأشعث على ربع ربيعة

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٠.

وكنده. والحر بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان.

ثم قسم هؤلاء على جبهتين:

جبهة اليمين: أميرها عمرو بن الحجاج الزبيدي.

جبهة اليسار: على رأسها شمر بن ذي الجوشن.

ثم صف الجيش إلى خيالة ورجالة.

الرجالة: يرأسها شبث بن ربعي.

الخيالة: أميرها عزرة بن قيس الأحمسي.

وأعطى الراية إلى مولاه ذويدا[١].

وقسم من هؤلاء الرؤساء الذين أعطوا مناصب في الجيش، كانوا ممن كاتبوا الحسين عليه السلام بالمجيء إلى الكوفة، ثم خانوا الله في عترة نبيه، وخرجوا لقتالهم، وهم: قيس بن الأشعث، وشبث بن ربعي. وشهد هؤلاء الرؤساء كلهم مقتل الحسين عليه السلام، وساعدوا على قتله. إلاّ الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله عليه[٢].

ثم إنّ عمر بن سعد بعد أن نظم جيشه، زحف بجيشه نحو معسكر الحسين عليه السلام، وأخذوا يجولون حول خيام الحسين عليه السلام، وقد أمر عليه السلام أن تضرم النار في الخندق؛ لئلا يهجموا من خلف الخيام، وليقابل العدو من جهة واحدة.

شمر وخبث سريرته

قال شمر بن ذي الجوشن: يا حسين! استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة؟

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر: ٣٢١.

فقال الحسين عليه السلام:

من هذا! كأنه شمر بن ذي الجوشن؟

فقالوا: نعم هو. فقال عليه السلام:

«يابن راعية المعزى! أنت أولى بها صلياً».

فقال مسلم ابن عوسجة:

يابن رسول الله! جعلت فداك ألا أرميه بسهم، فإنّه قد أمكنني، وليس يسقط سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين.

فقال الحسين عليه السلام:

لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم بقتال[1].

١٠١ ـ نظرة ودعاء

ولّما سرح الحسين بنظرة إلى الجيش الأموي، وإذا هو كالسيل، كل منهم يروم قتله وسلبه ونهبه. فتوجه عليه السلام متضرعاً إلى الله القدير بالدعاء، رافعاً يديه قائلا:

«اللّهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة. وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة. كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقتل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو. أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة لي إليك عمن سواك، فكشفته وفرّجته. فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة»[2].

---

(١) نفس المصدر: ٣٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٦.

١٠٢ ـ الحسين يخطب أمام الجيش الأموي في كربلاء

لمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام هذا الجمع الحاشد، الضال في أمره والحائر في مصيره، أراد أن يوقظ ضمائرهم الميتة، ويرشد جمعهم نحو الهدى والحق. فوقف فيهم واعظاً، خطب الخطبة الأولى في صبيحة اليوم العاشر من محرم. فدعا عليه السلام براحلته فركبها ونادى بصوت يسمعه جلهم.

«أيها الناس! اسمعوا قولي ولا تعجلوني؛ حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ، وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النَصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل. وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النَصف من أنفسكم، ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1]، ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]».

فسمعن النساء صوته، فبكين وارتفعت أصواتهن. فقال الحسين لأخيه العباس وابنه علي الأكبر: سكتوهن، فلعمري ليكثر بكاؤهن، ولمّا سكتن. حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد وعلى الملائكة والأنبياء فذكر ما لا يحصى ذكره، فما سمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه[3].

ثم قال:

«الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال. فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع

---

(١) سورة يونس (١٠): ٧١.

(٢) سورة الأعراف (٧): ١٩٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٧.

رجاء مَن ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر، قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته.

فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم. أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم. لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم. فتباً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين»[1].

«أيها الناس انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألستُ ابن بنت نبيكم، وابن وصيه، وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟

فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق. والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضر بمن اختلقه. وإن كذبتموني، فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك. يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي»[2]؟

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٢٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ و٣٢٣.

شمر يقاطع خطبة الحسين عليه السلام

ثم إنّ شمر بن ذي الجوشن قاطع كلام الحسين عليه السلام بقوله: هو يعبد الله على حرف! إن كان يدري ما تقول.

حبيب بن مظاهر يرد عليه

وإذا بحبيب بن مظاهر الأسدي، يجيب شمراً بقوله:

«والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق، ما تدري ما يقول. قد طبع الله على قلبك»[١].

الحسين عليه السلام يتم خطبته

ثم إنّ الحسين عليه السلام واصل خطبته قائلا:

«فإن كنتم في شك من هذا القول. أفتشكّون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة. أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص جراحة»؟

فأخذوا لا يكلمونه[٢].

فنادى عليه السلام:

«يا شبث بن ربعي! ويا حجار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا يزيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ أن أقدم، قد أينعت الثمار، وطمّت الجمام، واخضرّ

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٧، تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣.

الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجندة»[١]؟

فقالوا:

لم نفعل.

قال عليه السلام:

سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال:

«أيّها الناس إذا كرهتموني، فدعوني انصرف عنكم إلى مأمن من الأرض».

فقال قيس بن الأشعث:

أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنّهم لن يروك إلاّ ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام:

أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنوهاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟

لا والله، لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله!

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[٢]، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٣]»[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الدخان (٤٤): ٢٠.

(٣) غافر (٤٠): ٢٧.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٨٠، تاريخ الطبري ٤: ٣٣٠، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٧.

١٠٣ ـ زهير بن القين يحذر وينذر الجيش الأموي

ثم أنّ زهير بن القين رضوان الله عليه، رأى أنّ القوم لم يستجيبوا لخطبة الإمام الحسين عليه السلام، ولم ينصاعوا إليها، فخرج إليهم على فرس له، وهو شاك في السلاح؛ ليحذرهم ناصحاً لهم، ومنذراً ممّا يرتكبون. قائلا :

يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار، إنّ حقاً على المسلم نصحية أخيه المسلم، ونحن حتى الآن اخوة وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف. وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف، انقطعت العصمة، وكنّا أمة وأنتم امة.

إنّ الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ بسوء عمر سلطانهما كله؛ ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّائكم، أمثال: حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه[1].

١٠٤ ـ الجيش الأموي يرد على كلام زهير بن القين

ثم إنّ جماعة من زعماء الجيش الأموي، قاطعوا كلام زهير بسبّه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، قائلين: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً.

جواب زهير

فأجابهم زهير قائلا :

«عباد الله! إنّ ولد فاطمة (عليها السلام) أحق بالود والنصر من ابن سمية،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٨.

فإن كنتم لم تنصروهم، فاعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنّه ليرضى بطاعتكم، من دون قتل الحسين»[١].

شمر يرميه بسهم

ثم إنّ شمر بن ذي الجوشن رماه بسهم، وقال له: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير:

يابن البوال على عقبيه، ما إيّاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال شمر: إنّ الله قاتلُك وصاحبُك عن ساعة.

فقال زهير:

أفبالموت تخوفني؟ فوالله للموت معه، أحب إليّ من الخلد معكم.

ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال:

عباد الله! لا يغرنّكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم.

فأمره الحسين بالرجوع فرجع، وقال له عليه السلام:

«لعمري لئن كان مؤمن فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»[٢].

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٤.

١٠٥ - برير بن خضير واعظاً وناصحاً

ولّما رأى برير بن خضير إصرار القوم على الباطل، ومعاندهم للحق وأهله، أراد أن يعظهم وينصحهم، ويدعوهم إلى قول الحق والصراط المستقيم، فاستأذن من الحسين عليه السلام، فأذن له، فجاء ووقف فيهم، وكل منهم يعرفه، أنّه من التابعين، ومن شيوخ القرّاء، عابداً ناسكاً. فنادى بأعلى صوته:

«يا معشر الناس! إنّ الله بعث محمّداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله، أفجزاء محمّد هذا»؟!

فأجابوه قائلين: يا برير! قد أكثرت الكلام، فاكفف عنا فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله.

فقال برير:

يا قوم! إنّ ثقل محمّد قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم.

فقالوا له: نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد، فيرى فيهم رأيه. برير:

أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوا منه، ويلكم يا أهل الكوفة! أنسيتم كتبكم وعهودكم، التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ ويلكم! أدعوتم أهل بيت نبيكم، وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، وحلأتموهم عن ماء الفرات؟ بئسما خلفتم نبيكم في ذريته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقيل له: يا هذا! ما ندري ما تقول يا برير.

برير:

الحمد لله الذي زادني فيهم بصيرة. اللّهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم. اللّهم ألق بأسهم بينهم، حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان. فجعلوا يرمونه بالسهام فتقهقر[١].

١٠٦ ـ الحسين يخطب مرة أخرى أمام الجيش الأموي في كربلاء

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي هدىً ورحمة لبني الإنسان، وهكذا أهل بيته، فهم فرع من ذلك الغصن المبارك، لأنهم أهل بيت النبوة، بيت هداية ورشاد. والحسين عليه السلام وليد هذا البيت، وحفيد جدّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو شعاع هدىً ورحمة. لما رأى القوم في اليوم العاشر من المحرم، لم تهدهم خطب، ولم تأثر فيهم موعظة، وهم مصرون على جهلهم وغيّهم، فأراد عليه السلام أن يعيد النصح عليهم ثانياً، علّهم ينصاعون إلى صوت حق، وكلمة خير، وهو حريص على إنقاذهم من الضلال والغي، لأنّه وليد نبي الهدى والرحمة.

فوقف عليه السلام أمام ذلك الزخم الجاهلي، بأفكاره ومشاعره، حاملا بيده قرآن هداية ونور، منددا بموقفهم هذا، وموبخاً لإصرارهم وعنادهم قائلا:

«تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً[٢]، أحين استصرختمونا والهين[٣]، فأصرخناكم موجفين[٤]، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم[٥] علينا ناراً اقتدحناها[٦]

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٨٦.

(٢) الترح: الحزن.

(٣) الوله: الحزن الذي يكاد أن يذهب بالعقل.

(٤) الوجيف: الاضطراب.

(٥) حششتم: أوقدتم.

(٦) اقتدح: حاول اخراج النار.

على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً[١] لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم؟ فهلاّ لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم[٢]، والجأش[٣] طامن[٤]، والرأي لما يستصحف[٥]، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها. فسحقاً لكم[٦]، يا عبيد الأمة! وشذّاذ الأحزاب، ونَبَذَة الكتاب، ومحرّفي الكَلِم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟!

أجل والله! غدر فيكم قديم، وَشِجَتْ[٧] عليه أُصولكم، وتأزرت[٨] عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجاً للناظر، وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي[٩] ابن الدعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلّة[١٠] والذلة، وهيات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وانوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وخذلان الناصر».

---

(١) الألب: القوم تجمعهم عداوة واحدة.

(٢) مشيم: من شأم، جر الشؤم.

(٣) الجأش: القلب.

(٤) طامن: ساكن.

(٥) يستصحف: يستحكم.

(٦) أبعدكم الله عن رحمته.

(٧) وشجت: اشتبكت.

(٨) تأزرت: هاجت.

(٩) المتهم في نسبه.

(١٠) السلّة: سلة السيف.

ثم أوصل كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي:

فــإن نُهــزم فهزّامــون قُــدماً　　وإن نُغلــب فغــير مغلبينــا
ومــا مــن طبعنــا جــبنٌ ولكــن　　منايانــا ودولــة آخرينــا
إذا مــا المــوت رفّــع عــن أنــاس　　كلاكلَــه أنــاخ بآخرينــا
فــأفنى ذلكــم ســراة قــومي　　كمــا أفنــى القــرون الأولينــا
فلــو خلــد الملــوك إذن خلــدنا　　ولــو بقــي الكــرام إذن بقينــا
فقــل للــشامتين بنــا أفيقــوا　　سيلقى الشامتون كما لقينا[١]

ثم وايم الله! لا تلبثوا بعدها إلاّ كريثما يُركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فاجمعوا أمركم وشركائكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون.

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾»[٢].

ثم رفع عليه السلام يديه نحو السماء وقال:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبّرة، فإنّهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا، واليك المصير. عليك توكلنا. والله لا يدع أحداً منهم إلاّ انتقم لي منه، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وإنّه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي»[٣].

---

(١) انظر الاحتجاج، الطبرسي ٢: ٢٤.

(٢) سورة هود (١١): ٥٦.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٩٧ ـ ٩٩، مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرّم: ٢٨٩.

١٠٧ ـ النفوس الخيرة تستيقظ

إنّ بعض النفوس، مهما كان عليها غشاوة ضلال وانحراف، إلاّ أنّها تبقى تواقة إلى الخير والكمال، فمهما وجدت نوراً تسترشد به طريق الحق، أسرعت إليه؟ لأنّ الضلال لم يخيم على جميع منافذها، فتتخذ من ذلك البصيص المنفتح على عالم الخير والحق طريق هداية وكمال، كما هي نفسية الحر بن يزيد الرياحي. فإنّه لّما سمع الحسين يخطب في ذلك الجيش الضال، انشرح قلبه إلى الإيمان والخير، وأشرقت نفسه بالنور والهداية، فأسرع إلى قائد الضلال عمر بن سعد قائلا: أمقاتل أنت هذا الرجل؟

فأجابه عمر بن سعد: أي والله! قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

فأقبل الحر ووقف بين أصحابه وهو يفكر في مصيره، فأخذته مثل العرواء (أي الرعدة).

فقال له المهاجر بن أوس: يابن يزيد! والله إنّ أمرك لمريب، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك. فما هذا الذي أرى منك؟ فقال له الحر:

إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار. ووالله لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قطعت وحرقت.

ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين عليه السلام، ولما قرب منه قال له:

جعلني الله فداك يابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان. والله الذي لا إله إلاّ هو، ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. وإني قد جئتك تائباً ممّا كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي؛ حتى أموت بين يديك، أفترى لي توبة؟

فقال الحسين عليه السلام له:

نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ما اسمك؟

قال:

أنا الحر بن يزيد الرياحي.

قال الحسين عليه السلام:

أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة أنزل.

فقال له الحر:

أنا لك فارساً خيراً مني راجلا.

ثم جاء ووقف إزاء جيش العدو صارخاً فيهم:

يا أهل الكوفة! لامكم الهبل والعبر، أدعوتموه حتى إذا أتاكم اسلمتوه، وزعمتم أنكم قاتلي أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، واحطتم به من كل جانب.

فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن، ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير، لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري، الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه.

وهاهم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمّداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ، إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه، من يومكم هذا، في ساعتكم هذه. فرموه بالنبل، فرجع ووقف أمام الحسين عليه السلام[1].

وهذا يزيد بن زياد بن المهاصر، فإنه خرج مع عمر بن سعد إلى قتال الحسين عليه السلام، فلما ردوا الشروط على الحسين عليه السلام مال إليه، فقاتل معه حتى قتل[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٥ و٣٢٦ و٣٤٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٢٨٩، مقتل الخوارزمي ٢: ٨.

١٠٨ ـ الحسين يلقي الحجة النهائية على عمر بن سعد

ثم إنّ الحسين عليه السلام فكّر أن يجتمع مرة أخرى مع عمر بن سعد، قائد جيش الضلال، ليلقي عليه الحجة النهائية، لكي لا تبقى له معذورية في موقفه هذا، فاستدعاه عليه السلام، واجتمع معه قائلا بعد أن يئس منه:

«أي عمر! أتزعم أنّك تقتلني، ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فانك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة يترماه الصبيان بالكوفة، ويتخذونه غرضاً بينهم»[١].

١٠٩ ـ شقاوة عمر بن سعد وضلاله

هناك بعض النفوس كلما تنفتح لها سبل الهداية والرشاد، تزداد بعداً وإصراراً وعناداً في غيها وضلالها، وكلما أراد القول الطيب أن يجد إليها منفذاً، أوصدت دونه المنافذ، فتبقى شريرة سابحة في ضلالها وانحرافها. لم تنفعها المواعظ ولا المؤثرات الإصلاحية الأخرى، فتكون مصداقاً للآية الكريمة:

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[٢].

كما هي عليه نفس عمر ابن سعد.

فإنّ الحسين عليه السلام استعمل معه مختلف الأساليب الخيّرة لإصلاحه وهديه، إلاّ أنّه أبى واستكبر وكان من الظالمين.

فوقف بكل وقاحة وشقاوة، متحدياً في صبيحة يوم العاشر من محرم، واضعاً

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٩، ومقتل الخوارزمي: ٢: ٨.

(٢) سورة الأعراف (٧): ٥٨.

سهمه في كبد قوسه، ورمى به نحو معسكر الحسين عليه السلام قائلا: اشهدوا لي عند الأمير، أني أول من رمى[١].

وأقبلت السهام من الجيش الأموي نحو الحسين عليه السلام، كأنها المطر.

١١٠ ـ الحسين يأذن لأصحابه بالقتال

استعمل الحسين عليه السلام مختلف الوسائل الممكنة؛ لهديهم وإرشادهم إلى الطريق الأقوم، وبذل جهده عسى أن يتجنب القتال؛ لأنّه صاحب دعوة خير وسلام، دعوة الإسلام.

وكان عليه السلام يبغض القتل والقتال، ما دام هناك طريقة بالتي هي أحسن. ولهذا كان يكره أن يبدأهم بقتال، كما قال عليه السلام لأصحابه في مواطن عديدة:

«إنّي أكره أن أبدأهم بقتال»[٢].

مقتدياً بسيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبيه علي بن ابي طالب، في دعوتهما إلى الله.

ولكنه عليه السلام خاب ظنه فيهم؛ لأن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله، وذلك عندما رشقوا معسكره بالسهام وكأنها المطر.

فعندئذ لم ير بُداً من قتالهم؛ حتى يفيئوا إلى أمر الله، فأذن لأصحابه بالقتال قائلا لهم:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإنّ هذه رسل القوم إليكم».

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٢، تاريخ الطبري ٤: ٣٢٦، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٩.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٢، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٩.

١١١ ـ شقاوة وكرامة وهداية

ذكرنا فيما سبق، أنّه قد تصل الشقاوة لدى بعض النفوس إلى مستوى الحضيض، فتنغمس في الرذيلة والشقاوة، انغماساً من الرأس إلى القدم. فتتقمص شخصية الشقي بكل معناها، فيصبح إنساناً شريراً شقياً كشقاوة عبد الله بن حوزة، أحد أفراد الجيش الأموي. فإنّه تقدم من الحسين متحدياً وقال: يا حسين! ابشر بالنار، قالها ثلاثاً. فأجابه الحسين قائلا:

«كذبت، بل أقدم على رب غفور، وشفيع مطاع، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهم حزه إلى النار».

فغضب ابن حوزة من دعاء الحسين عليه السلام، فذهب ليقتحم إليه الفرس، وكان بين الحسين وبينه نهر، فعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس فسقط عنها، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب؛ حتى هلك. كما جاء في تاريخ الطبري والكامل[1]، فرآه أحد المتحمسين لابن زياد وهو مسروق بن وائل، فاهتدى وترك الجيش قائلا: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً، لا أقاتلهم أبداً.

وانتهت هذه الواقعة بشقاوة ابن حوزة، وكرامة للحسين عليه السلام وهداية لابن وائل؛ ولكنها هداية بلا توفيق. فهي شقاوة وكرامة وهداية.

١١٢ ـ الاصطدام المسلح بين الحق والباطل

لّما يئس الحسين عليه السلام من هدي القوم واستنصاحهم، بعد أن بذل جهده ونصحه، فلم يزدهم إلاّ فراراً. ومَثَله فيهم كمثل نوح ـ نبي الله ـ في قومه، حينما دعاهم إلى الإيمان والهدى فلم يزدهم إلاّ فراراً.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٩.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[١].

فهكذا توحي لنا هذه الآيات البينات، وجه الشبه بين دعوة الحسين عليه السلام، وبين دعوة نبي الله نوح، وبين الذين عارضوا الحسين عليه السلام، وبين الذين عارضوا نوحاً.

إلاّ أن هناك فارقاً بين هؤلاء القوم وبين أولئك، فإنّ الذين عارضوا الحسين لم يكتفوا بمعارضته البيانية، كما فعل قوم نوح، بل حملوا السلاح في وجهه، ومن ثم قتله وقتل أهل بيته وأصحابه، وهذا ما لم يفعله قوم نوح، بل اكتفوا بمعارضته وعدم الانصياع لأمره.

ولّما رشقوا معسكر الحسين بالسهام كأنّها المطر، فأذن عليه السلام عندئذ لأصحابه بالقتال قائلا:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

فسمع الأصحاب مقالة الحسين عليه السلام، ففرحوا واستبشروا بما سيلاقون من النعيم الأبدي، ومن رضى الله ورضوانه ونعمائه. كما كان أصحاب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمنون الشهادة في سبيله، فحملوا بقلّتهم على العدو بكثرته.

---

(١) سورة نوح (٧١): ٥ ـ ١٠.

١١٣ ـ العدو يطلب الإمداد لشجاعة أصحاب الحسين

ولّما حمل أصحاب الحسين عليه السلام، بقلة عددهم وقوة إيمانهم، على الجيش الأموي، الكثير في عدده وعدته، والجبان في ضميره ونفسه، فقاتلوا قتال الأبطال؛ حتى أكثروا القتل في معسكر عمر بن سعد، وما حملوا على جانب من جوانب الجيش الأموي إلاّ وكشفوه، ممّا دعا عزرة بن قيس آمر الخيالة ـ أن يستنجد بقائد الجيش عمر بن سعد؛ ليمده بالرجال والرماة قائلا له: أما ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة، ابعث إليهم الرجالة والرماة[١].

فدعى عمر بن سعد الحصين بن تميم، فبعث معه المجففة والرجالة وخمسمائة من الرماة[٢].

فحملوا على جيش الحسين عليه السلام، واقتتلوا حتى انتصف النهار، وما انجلت الغبرة إلاّ وقد فقد الحسين خمسين رجلا من جيشه، وقد بانت القلة في معسكره. ثم أخذ أصحابه، يخرج منهم الرجلان والثلاثة والأربعة، ويستأذنون منه للمبارزة والدفاع عن ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج سيف بن حارث بن مريع، ومالك بن عبد مريع الجابريان، وهما يبكيان، فقال الحسين عليه السلام لهما:

«ما يبكيكما، إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين»

قالا: جعلنا الله فداك، ما على أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك، نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن ننفعك بأكثر من أنفسنا. فقال عليه السلام:

«جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما بأنفسكما، أحسن جزاء المتقين»[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٣٣٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧.

١١٤ ـ الحسين يستغيث

ولّما نظر الحسين عليه السلام إلى كثرة أعدائه وقلة أصحابه، وكثرة من قتل منهم، قبض على شيبته المباركة قائلا:

«اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم. أما والله لا أجيبهم إلى شيء مّما يريدون؛ حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي».

ثم صاح:

«أما من مغيث يغيثنا، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله».

فبكت النسوة وكثر صراخهن.

١١٥ ـ هداية

سمع نفر من جيش العدو كلامه، فهزت كلماته مشاعرهم، وأيقظت ضمائرهم، فاندفعوا نحو الحسين ينصرونه ويدافعون عنه، كسعد بن الحارث وأخيه الأنصاريين، حتى قتلا.

١١٦ ـ جيش العدو يستنجد

لّما بان النقص في جيش الحسين؛ وذلك لعدم وجود الإمداد البشري والعسكري، وللحصار المطوق به جيشه عليه السلام من كل جوانبه، أخذ رجاله يخرج الرجل تلو الرجل، فأكثروا القتل في الجيش الأموي، وقاتلوا قتال الأبطال أمثال: الحر بن يزيد، ونافع بن هلال الجملي وغيرهم؛ حتى ضجر جند أمية وتصايح قواده، فنادى عمر بن الحجاج بالناس:

أتدرون من تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد، فإنّهم قليل وقلما يبقون والله، لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم[١].

فقاتلوهم حتى انتصف النهار، أشد قتال خلقه الله كما وصفهم الطبري وقابلوا جيش العدو من وجه واحد؛ لتقارب خيامهم وأبنيتهم، وهي خطة عسكرية ناجحة. فأمر ابن سعد أن تقوض هذه الخيام عن أيمانهم وشمائلهم؛ ليحيطوا بهم ويسيطروا عليهم، فجاءوا بالنار وأحرقوها. فقال الحسين عليه السلام:

«دعوهم فليحرقوها، فإنّهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها».

وكان كذلك[٢].

فحمل شمر بن ذي الجوشن، حتى طعن فسطاط الحسين عليه السلام، ونادى: عليّ بالنار حتى احرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وخرجن من الفسطاط، فانبرى له الحسين قائلا:

«يابن ذي الجوشن! أنت تدعو بالنار؛ لتحرق بيتي على أهلي؟! حرقك الله بالنار».

وتصدى لتوبيخه جماعة من جيش العدو بينهم: حميد بن مسلم، وشبث بن ربعي، فإنّه قال له: ما رأيت مقالا أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أمرعباً للنساء صرت؟!

ثم إنّ زهير بن القين، حمل في رجال من أصحابه، على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه، فكشفوهم عن البيوت وقتلوا جماعة، منهم: أبا عزة الضبابي وغيره[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٠، تاريخ الطبري ٤: ٣٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٣.

(٣) نفس المصدر: ٣٣٤.

١١٧ ـ المرأة وثورة الحسين

دعوة الحسين دعوة حق وهداية، لبّتها قلوب صافية طاهرة من رجال ونساء. وها هي المرأة تساهم في نصرة الحسين عليه السلام، في صراعه مع الباطل والمنكر، وهي على درجة من الوعي لدينها ورسالتها، ونذكر هنا نموذجاً لهذا الوعي على سبيل المثال.

فقد ذكر المؤرخون وأرباب المقاتل، عدّة نسوة كنّ مع الحسين في واقعة كربلاء، منهن زوجة عبد الله بن عمير بن بني عليم، ويقال لها: أم وهب بنت عبد بن نمر بن قاسط، وذلك لّما رأى زوجها قوماً يعرضون ويسرحون إلى قتال الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم، أيسر ثواباً عند الله من ثوابه أياي في جهاد المشركين.

ثم دخل على زوجته وأخبرها بما يريد فقالت: أصبت، أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك. فخرج بها ليلاً، حتى أتى الحسين عليه السلام في كربلاء، ثم برز إلى القتال وخرجت خلفه زوجته، وبيدها عمود تقول لزوجها:

فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمّد.

فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها الحسين عليه السلام قائلا:

«جزيتم من أهل بيت خيراً، أرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنّه ليس على النساء قتال».

فانصرفت إليهن. وقيل: إنها قتلت بعد أن وقفت على زوجها، وهو قتيل قائلة:

أسأل الله الذي رزقك الجنة، أن يصحبني معك. وقاتلها هو رستم غلام شمر، فإنّه ضربها بعمود[١].

إلى ما هناك من بطولات وتضحيات النسوة، اللاتي كنّ مع الحسين في كربلاء، أمثال: عقيلة بني هاشم، زينب بنت الإمام علي عليه السلام، التي ساهمت في ثورة أخيها مساهمة فعالة، كما سنذكرها تفصيلا في القسم الثاني بإذن الله[٢].

١١٨ ـ حنظلة بن أسعد الشامي يصرخ بالجيش الأموي

وجاء حنظلة بن أسعد الشامي، أحد الفدائيين الحسينيين، ووقف بين يدي الحسين عليه السلام منادياً وصارخاً بالقوم، بكل إيمان وصلابة قائلا بأعلى صوته:

يا قوم! إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[٣].

يا قوم! لا تقتلوا حسيناً،

﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾[٤].

الحسين عليه السلام قائلا له:

يابن أسعد! رحمك الله، إنّهم قد استوجبوا العذاب، حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩١، تاريخ الطبري ٤: ٣٢٧.

(٢) القسم الثاني من كتابنا (النتائج الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام).

(٣) سورة غافر (٤٠): ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) سورة طه (٢٠): ٦١.

وقد قتلوا اخوانك الصالحين؟!

حنظلة بن أسعد:

صدقت جعلت فداك أنت أفقه مني وأحق بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟!

الحسين عليه السلام:

رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى مُلك لا يبلى.

حنظلة بن أسعد:

السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته.

الحسين عليه السلام:

آمين آمين.

حنظلة بن أسعد يقتحم المعركة فيقتِل ويُقتل(١).

١١٩ ـ شهامة عابس وإيمانه

عابس بن شبيب الشاكري، أحد أبطال المعركة الحسينية، ومن المؤمنين الواعين لثورة الإمام الحسين عليه السلام، فنراه يكشف عن إيمانه ومعتقده بتصريحاته، بعد أن تقدم يوم عاشوراء نحو الحسين عليه السلام، ومعه شوذب مولى شاكر.

عابس قائلا لشوذب:

يا شوذب! ما في نفسك أن تصنع؟

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧.

شوذب :

ما أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أُقتل.

عابس :

ذلك الظن بك، أمّا الآن فتقدم بين يدي أبي عبد الله؛ حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحد، وأنا أولى به مني بك؛ لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه. فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب.

شوذب تقدم نحو الحسين عليه السلام وسلم عليه، وهجم على الأعداء وقاتل حتى قتل.

عابس يتقدم نحو الحسين عليه السلام قائلا :

«ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد، أعز عليّ ولا أحب إليّ منك يا أبا عبد الله. أما والله! لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته. السلام عليك يا أبا عبد الله، أُشهد الله أنّي على هديك وهدي أبيك[1]».

ثم هجم على الأعداء كأنّه الليث. كان أشجع الناس فنادى رجل من جيش العدو :

أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم.

عابس ينادي :

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨.

ألا رجل لرجل! فتحاشى الرجال عن مبارزته.

فنادى عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمي بالحجارة من كل جانب، ثم شد على القوم وهو يكرد[١] أكثر من مائتين حتى قتل[٢]، وتنازعوا في قتله، وكل يقول: أنا قتلته. فقال عمر بن سعد: هذا لم يقتله سنان واحد.

١٢٠ ـ وفاء وعطف في معركة

جون مولى أبي ذر الغفاري، كان من الأشخاص الذين اتبعوا الحسين عليه السلام طلباً للرزق والعافية، ولكنه لما رأى الحسين بهذا الحال، تقدم يستأذنه في الدفاع عنه.

فعطف عليه الحسين عليه السلام قائلا:

«يا جون إنّما تبعتنا طلباً للعافية، فأنت في إذن مني».

جون قائلا: سيدي! أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم. إنّ ريحي لنتن، وحسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس عليّ بالجنة؛ ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض لوني. لا والله! لا أفارقكم؛ حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

فأذن له الحسين عليه السلام، فهجم على جيش الضلال والانحراف، وقتل منهم خمساً وعشرين ثم قتل.

الحسين يقف عليه قائلا:

«اللّهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع محمّد، وعرّف بينه وبين آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم».

---

(١) الكرد: هو الطرد.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣١٢.

فكان لا يمر عليه أحد في المعركة، إلاّ ويشم منه رائحة طيبة أزكى من المسك[١].

فهكذا كان الوفاء في ساحة المعركة من جون، والعطف من الحسين عليه السلام.

١٢١ـ شجاعة أسير

نافع بن هلال الجملي، كان من الفدائيين الحسينيين، الذين يجيدون الرمي بالسهام، وقد كتب عليها اسمه. فأخذ يرمي الأعداء بها، وهو يقول:

أنا الهزبر الجملي   أنا على دين علي

ودينه دين النبي

حتى قتل منهم اثني عشر سوى مَن جرح. ولمّا نفذت سهامه جرد سيفه وهجم على القوم، فأحاطوا به من كل جانب، حتى كُسرت عضداه. وأُخذ أسيراً إلى عمر بن سعد فقال له: ويحك يا نافع: ما حملك على ما صنعت بنفسك؟! وكانت الدماء تسيل على لحيته. نافع:

إنّ ربي يعلم ما أردت، والله! لقد قتلت منكم اثني عشر، سوى مَن جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني.

شمر مخاطباً عمر بن سعد: اقتله أصلحك الله.

عمر بن سعد: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله.

شمر يشهر سيفه على نافع يروم قتله. نافع قائلا لشمر:

أما والله! لو كنت من المسلمين؛ لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا. فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه.

ثم قتله شمر[٢].

---

(١) مقتل العوالم: ٨٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦، ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ١٠٥.

أراجيز في معركة

١٢٢ ـ أراجيز في معركة

الأراجيز: هي إحدى أنواع الشعر العمودي، وكان العرب يستخدمونها في حروبهم. فهي لون من ألوان التعبير عمّا يحتوي الإنسان المقاتل من آراء وعقائد.

وهي تعتبر نصوصاً ووثائق تاريخية، نستطيع أن نحكم من خلالها على نفسية الراجز، ومدى تفهمه لواقع معركته ومبادئها، التي ثار وحارب من أجلها. بل هي من أهم الوثائق؛ لأنّها الوثيقة الحقيقية، التي تحكي عن نفسية قائلها في أشد الظروف وأقساها.

وهي أيضاً الرأي النهائي القاطع لعقيدة المقاتل، الذي لا يشوبه التشكيك أو التردد. ومن أجل ذلك كله، فهي جديرة بالبحث والدراسة، لمن أراد أن يبحث عن ثورة الحسين ويستخلص عقائديتها ومبادئها، والمستوى الثوري لدى رجالها.

أراجيز الأصحاب

عبد الله بن عمر الكلبي

فإنّه حمل على القوم قائلا:

إن تنكروني فأنا ابن كلب ... حسبي ببيتي، في عليم حسبي

إني امرؤ ذو مُرة وعصب ... ولست بالخوار عند النكب

إني زعيم لكِ أم وهب ... بالطعن فيهم مُقدماً والضرب

ضرب غلام مؤمن بالرب[1]

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٧.

عمرو بن قرظة الأنصاري

بعد أن هجم على الأعداء قائلا :

قـــد علمـــت كتيبـــة الأنـــصار إنـــي ســـأحمي حـــوزة الـــذمار
ضـرب غـلام غـير نكـس شـاري دون حـــــسين مهجـــــتي وداري[١]

وهب بن حباب الكلبي

وكان نصرانياً فاسلم على يدي الحسين عليه السلام، وجاهد أعداءه بين يديه بقوله :

إن تنكرونـــي فأنـــا ابـــن الكلـــبي ســـــوف ترونـــــي وتـــــرون ضـــــربي
وحملـــتي وصـــولتي في الحـــرب أدرك ثـــاري بعـــد ثـــار صـــحبي
وادفـــع الكـــرب أمـــام الكـــرب لـــيس جهـــادي في الـــوغى باللعـــب[٢]

الحر بن يزيد الرياحي

لّما يأس الحر من يقظة ضمير قومه، وأنّهم مصرون على قتل ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، هجم عليهم قائلا :

إنـــي أنـــا الحـــر ومـــأوي الـــضيف اضـــرب في أعراضـــكم بالـــسيف
عـن خـير مـن حـل بـأرض الخيـف[٣]

ثم أخذ يكيل الضربات للعدو المضلل قائلا :

آليـــت لا أُقتـــل حتـــى أقـــتلا ولـــن أُصـــاب اليـــوم إلاّ مقـــبلا
اضـربهم بالـسيف ضـرباً معـضلا لا نـــــاكلا عـــــنهم ولا مهلـــــلا
لا عـــاجزاً عـــنهم ولا مبـــدلا أحمـــي الحـــسين الماجـــد المـــؤملا

---

(١) نفس المصدر: ٣٣٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٢٧.

(٣) ابصار العين في أنصار الحسين، محمّد السماوي: ١٤٥، مقتل الحسين، محسن الأمين: ١٢٩.

مسلم بن عوسجة

برز وهو يرتجز:

إن تـــسألوا عـــني فـــإني ذو لبـــد   مـــن فـــرع قـــوم مـــن ذرى بـــني أســـد
فمَـــن بغانـــا حائـــد عـــن الرشـــد   وكـــافر بـــدين جبـــار صـــمد[1]

حبيب بن مظاهر الأسدي

فإنّه حمل على جيش العدو، وهو مرتجز:

أنـــا حبيـــب وأبـــي مظـــاهر   فـــارس هيجـــاء وحـــرب تـــسعر
أنـــتم أعـــد عـــدة وأكثـــر   ونحـــن أوفـــى مـــنكم وأصـــبر
ونحـــن أعلـــى حجـــة وأظهـــر   حقـــاً، وأتقـــى مـــنكم وأعـــذر

ثم أخذ يقول وهو يقاتل:

أُقـــسم لـــو كنّـــا لكـــم أعـــدادا   أو شـــطركم وليـــتم أكتـــادا[2]

زهير بن القين

استأذن الحسين عليه السلام بقوله:

أقـــدِم هُـــديت هاديـــاً مهـــديا   اليـــوم نلقـــى جـــدك النبيـــا
وحـــسناً والمرتـــضى عليـــا   وذا الجنـــاحين الفتـــى الكميـــا
وأســـد الله الـــشهيد الحيـــا

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٣٤ و١٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٥، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٠٦، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٤٠.

الاكتاد: مجتمع الكتفين من الانسان، أي: وليتم ظهوركم.

ثم هجم على الأعداء مقاتلا ومرتجزاً:

أنـــا زهـــير وأنـــا ابـــن القـــين　　　أذودكـــم بالـــسيف عـــن حـــسين

إنّ حـــسيناً أحـــد الـــسبطين　　　مـــن عـــترة الـــبر التقـــي الـــزين

ذاك رســـول اللّه غـــير المـــين　　　أضـــربكم ولا أرى مـــن شـــين

يـا ليـت نفـسي قـسمت قـسمين[1]

نافع بن هلال الجملي

فإنّه حمل على القوم قائلا:

إن تنكرونـــي فأنـــا ابـــن الجملـــي　　　ديـــني علـــى ديـــن حـــسين بـــن علـــي

ثم أنّه كانت معه نبال، وكان رامياً. وقد كتب اسمه عليها فجعل يرمي بها ويقول:

أرمـــي بهـــا مُعلَمـــة أفواقهـــا　　　مـــسمومة تجـــري بهـــا أخفاقهـــا

لـــيملأن أرضـــها رشـــاقها　　　والـــنفس لا ينفعهـــا إشـــفاقها

ولّما نفذت نباله، جرد سيفه وهجم على الأعداء مرتجزاً:

أنـــا الهزبـــر الجملـــي　　　أنـــا علـــى ديـــن علـــي

ودينـــه ديـــن الـــنبي[2]

ويقول أيضاً:

أنـــا الغـــلام الـــيمني الجملـــي　　　ديـــني علـــى ديـــن حـــسين وعلـــي

ان أقتـــل اليـــوم فهـــذا أملـــي　　　فـــذاك رأيـــي، وأُلاقـــي عملـــي[3]

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٣٠، تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦.

(٢) انظر إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمّد السماوي: ١٠٥، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٣٠ و١٣٨، تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦.

(٣) نفس المصدر.

سويد بن عمر بن أبي المطاع

فإنّه قاتل بين يدي الحسين عليه السلام مرتجزاً:

أقـدم حـسين اليـوم تلقـى أحمـدا وشـيخك الحـبر عليـاً ذا النـدى
وحـسناً كالبـدر وافـى الاسـعدا وعمـك القـرم الهمـام الارشـدا
حمـزة ليـث اللّه يـدعى أسـداً وذا الجنـاحين تبـوّا مقعـدا
في جنـة الفـردوس يعلـو صـعدا[١]

أم عمرو بن جنادة الخزرجي

قتل زوجها جنادة بن كعب يوم الطف، فجاءت إلى ولدها، وهو غلام له من العمر أحد عشر سنة، وقدمته بين يدي الحسين عليه السلام، فلم يأذن له قائلا:

«هذا غلام قتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره ذلك».

الغلام:

سيدي! إن أمي هي أمرتني.

فأذن له الحسين عليه السلام وهجم على القوم قائلا:

أمـيري حـسين ونعـم الأمـير سـرور فـؤاد البـشير النـذير
علـي وفاطمـة والـداه فهـل تعلمـون لـه مـن نظـير
لـه طلعـة مثـل شمـس الـضحى لـه غـرة مثـل بـدر مـنير[٢]

ولما قتل، أُخذت أُمه عموداً من الخيمة، وهجمت على الأعداء قائلة:

إنـي عجـوز في النـسا ضـعيفة خاويـة باليـة نحيفـة
أضـربكم بـضربة عنيفـة دون بـني فاطمـة الـشريفة[٣]

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣١٥، مقتل الحسين، محسن الأمين: ١٤٥.

(٣) نفس المصدر.

الحجاج بن مسروق الجعفي

فإنّه قاتل حتى خضب بدمه من كثرة جراحاته، وعاد إلى الحسين عليه السلام قائلا :

فـــدتك نفـــسي هاديـــاً مهـــديا — اليـــوم ألقـــى جـــدك النبيـــا
ثـــم أبـــاك ذا النـــدى عليـــا — ذاك الـــذي نعرفـــه الوصـــيا[١]

فقال له الحسين عليه السلام :

وأنا ألقاها على أثرك.

أبو الشعثاء

وهو يزيد بن زياد الكندي، وكان رامياً، فجثا بين يدي الحسين يرمي بسهامه، والحسين يقول :

«اللّهم سدد رميته واجعل الجنة ثوابه».

ولّما نفذت هجم على الأعداء مرتجزاً :

أنـــا يزيـــد وأبـــي مهاصـــر — أشـــجع مـــن ليـــث بغيـــل خـــادر
يـــا رب إنـــي للحـــسين ناصـــر — ولابـــن ســـعد تـــارك وهـــاجر[٢]

جون مولى أبي ذر الغفاري

كان مع الحسين عليه السلام، ولّما رأى وحدته وقلة ناصريه، طلب الإذن من الحسين عليه السلام وهجم قائلا :

كيـف تـرى الفجـار ضـرب الأسـود — بالمـــشرفي والقنـــا المـــسدد
يـــذبّ عـــن آل الـــنبي أحمـــد[٣]

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي: ١٠٩،

(٢) نفس المصدر: ١٢٧، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، محسن محمّد الأمين: ١٤٢.

عمرو بن خالد الأزدي

فإنّه برز إلى الأعداء بقوله:

إليــك يــا نفــس إلى الرحمــان	فأبــشري بــالروح والريحــان
اليــوم تجــزين علــى الإحــسان	قــد كــان منــك غــابر الازمــان
مــا خــط في اللــوح لــدى الــديّان	لا تجزعــي فكــل حــي فــاني
والــصبر أحظــى لــك بالإيمــان	يــا معــشر الازد بــني قحطــان(١)

خالد بن عمرو الازدي

طلب الإذن بالقتال من الحسين عليه السلام، فأذن له عليه السلام.

فخرج قائلا:

صــبراً علــى المــوت بــني قحطــان	كيمــا تكونــوا في رضــا الرحمــان
ذي المجـــد والعـــزة والبرهـــان	وذي العـــلا والطَـــول والإحـــسان
يــا أبتــا قــد صــرت في الجنــان	في قــصر در حــسن البنيــان(٢)

سعد بن حنظلة التميمي

فإنّه برز قائلا:

صــبراً علــى الأســياف والأســنة	صــبراً عليهــا لــدخول الجنــة
وحــور عــين ناعمــات هــنّ	لمــن يريــد الفــوز لا بالظنــة
يــا نفــس للراحــة فاجهدنَــه	وفي طــلاب الخــير فارغبنــه(٣)

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

عمير بن عبد الله المذحجي

هجم على القوم بقوله :

قــد علمــت ســعد وحــي مــذحج أنــي لــدى الهيجــاء ليــث محــرج
أعلــو بــسيفي هامــة المــدجج واتــرك القــرن لــدى التعــرج
فريــسة الــضبع الأذل الأعــرج

عبد الرحمن بن عبد الله اليزني

خرج مرتجزاً بقوله :

أنــا ابــن عبــد اللّه مــن آل يــزن ديــني علــى ديــن حــسين وحــسن
أضــربكم ضــرب فتــى مــن الــيمن أرجــو بــذاك الفــوز عنــد المــؤتمن

يحيى بن سليم المازني

خرج مرتجزاً بقوله :

لأضــربن القــوم ضــرباً فيــصلا ضــرباً شــديداً في العــداة معجــلا
لا عــاجزاً فيــه ولا مولــولا ولا أخــاف اليــوم موتــاً مقــبلا
لكــنني كالليــث أحمــي أشــبلا(١)

انس بن حارث الكاهلي

برز إلى المعركة وهو يرتجز ويقول :

قــد علمــت مالــك والــذودان والخنــدفيون وقــيس عــيلان
بــأنّ قــومي آفــة الاقــران لــدى الــوغى وســادة الفرســان
مباشــر المــوت بطعــن آن لــسنا نــرى العجــز عــن الطعــان

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٤٣ و١٤٤.

آل علـــــي شـــيعة الرحمـــــان | آل زيـــاد شـــيعة الـــشيطان[١]

عمرو بن مطاع الجعفي

فهو عندما برز إلى الأعداء جعل يرتجز قائلا:

أنـــا ابـــن جعــف وأبــي مطـــاع | وفي يمـــيني مرهـــف قطـــاع
واسمـــــر في رأســـــه لمـــــاع | يـــرى لـــه مـــن ضـــوئه شـــعاع
اليـــوم قـــد طـــاب لنـــا القـــراع | دون حـــسين الـــضرب والمـــصاع
يرجـــى بـــذاك الفـــوز والـــدفاع | مـــن حـــر نـــار حـــين لا انتفـــاع[٢]

أنيس بن معقل الأصبحي

فإنّه هجم على الأعداء مرتجزاً:

أنـــا أنـــيس وأنـــا ابـــن معقـــل | وفي يمـــيني نـــصل ســـيف مـــصقل
أعلـو بـه الهامـات وسـط القـسطل | عـــن الحـــسين الماجـــد المفـــضل
ابـــن رســـول الله خـــير مرســـل[٣]

عمرو بن جنادة

برز إلى الأعداء مرتجزاً بقوله:

أضـــق الخنـــاق مـــن ابـــن ســـعد | وأمـــه مـــن عامـــه بفـــوارس الأنـــصار
ومهـــاجرين مخـــضبين رمـــاحهم | تحـــت العجاجـــة مـــن دم الكفـــار
خـضبت علـى عهـد الـنبي محمّـد | فـــاليوم تخـــضب مـــن دم الفجـــار[٤]

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٤٥ و١٤٦.

(٤) نفس المصدر.

أبو عمر النهشلي

فإنّه توجه نحو الحسين قائلا :

ابشر هديت الرشد تلقى أحمدا ... في جنة الفردوس تعلو صعدا[١]

مالك بن خودان

هجم على الأعداء راجزاً بقوله :

إليكم من مالك الضرغام ... ضرب فتى يحمي عن الكرام

يرجو ثواب اللّٰه ذي الأنعام[٢]

أهل البيت والأراجيز

لّما قتل جميع أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يبق منهم أحد، أخذ أهل البيت يتسابقون إلى الجهاد، ويبذلون الأنفس في سبيل شريعة جدهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. فهذا هو نجل الحسين صاحب الثورة، يتقدم في طليعة بني هاشم، وهو أول قتيل واسمه :

علي الأكبر بن الحسين

هو علي الأكبر بن الحسين عليه السلام، وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، أول قتيل من أهل البيت. فإنّه بعد أن أذن له أبوه الحسين بالقتال، هجم على الأعداء قائلا :

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيتِ اللّٰهِ أولى بالنبي

تاللّٰه لا يحكم فينا ابن الدعي[٣] ... اضرب بالسيف أُحامي عن أبي

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ١٥٠.

(٣) هو عبيدالله بن زياد، كان أبوه مجهول الأب، ولذا يقال له: زياد بن أبيه.

ضــرب غــلام هـــاشمي علـــوي[١]

عبد الله بن مسلم بن عقيل

هو عبد الله بن مسلم بـن عقيـل بـن أبي طالـب، وأمـه رقيـة بنـت علـي بـن أبي طالب، برز إلى الأعداء مرتجزاً بقوله:

اليــوم ألقـــى مــسلماً وهـــو أبـــي　　وفتيـــة بـــادوا علـــى ديـــن الـــنبي

ليـــسوا بقـــوم عرفـــوا بالكـــذب　　لكـــن خيـــار وكـــرام النـــسب

مـن هاشـم الـسادات أهـل الحـسب[٢]

جعفر بن عقيل

جعفر بن عقيل بن أبي طالب، وهو غلام برز راجزاً:

أنـــا الغـــلام الأبطحـــي الطـــالبي　　مـــن معـــشر مـــن هاشـــم وغالـــب

ونحـــن حقـــاً ســـادة الـــذوائب　　هـــذا حـــسين أطيـــب الاطائـــب

مـــن عـــترة الـــبر التقـــي الغالـــب[٣]

عبد الرحمن بن عقيل

ثم برز أخوه عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب قائلا:

أبـــي عقيـــل فـــاعرفوا مكـــاني　　مـــن هاشـــم وهاشـــم إخـــواني

كهـــول صـــدق ســـادة الاقـــران　　هـــذا حـــسين شـــامخ البنيـــان

وســـيد الـــشيب مـــع الـــشبان[٤]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٠، مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٥٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٥٢ و١٥٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

محمّد بن عبد الله بن جعفر الطيار

محمّد بن عبد الله بن جعفر الطيار، وأمه زينب الكبرى بنت الإمام علي عليهما السلام، برز إلى الأعداء مرتجزاً بقوله:

أشـــكو إلى اللّه مــــن العــــدوان   قتـــال قـــوم في الـــردي عميـــان
قـــد تركـــوا معـــالم القـــرآن   ومحكـــم التنزيـــل والتبيـــان
وأظهـــروا الكفـــر مـــع الطغيـــان[1]

عون بن عبد الله بن جعفر الطيار

عـون بـن عبـد الله بـن جعفـر الطيـار، وأمـه أيـضاً زينـب الكـبرى بنـت الإمـام علي عليهما السلام، فإنّه برز بعدما قتل أخوه قائلا:

إن تنكرونـــي فأنـــا ابـــن جعفـــر   شـــهيد صـــدق في الجنـــان أزهـــر
يطـــير فيهـــا بجنـــاح أخـــضر   كفـــى بهـــذا شـــرفاً في المحـــشر[2]

القاسم بن الحسن بن علي

القاسم هو ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، غلام لم يبلغ الحلم، برز راجلا وراجزاً بقوله:

إن تنكرونـــي فأنـــا ابـــن الحـــسن   ســـبط الـــنبي المـــصطفى والمـــؤتمن
هـــذا حـــسين كالأســـير المـــرتهن   بـــين أُنـــاس لا سُـــقوا صـــوب المـــزن

ثم شد عليهم ثانياً بقوله:

لا تجزعـــي نفـــسي فكـــلٌ فـــاني   اليـــوم تلقـــين ذوي الجنـــان[3]

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٥٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

أبو بكر بن علي بن أبي طالب

ثم تقدم أخوة الحسين عليه السلام من أبيه، وعددهم ستة، طالبين الإذن بالمبارزة، فأذن عليه السلام لهم، فتقدم أبو بكر بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام قائلا:

شيخي علي ذو الفخار الأطول   من هاشم الصدق الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل   عنه نحامي بالحسام المقصل
تفديه نفسي من أخ مبجل[1]

عمر بن علي بن أبي طالب

فإنّه خرج بعد مقتل أخيه، وهجم على الأعداء مرتجزاً:

أضربكم ولا أرى فيكم زجر   ذاك الشقي بالنبي قد كفر
يازجر يازجر تداني من عمر   لعلك اليوم تبوء من سقر
شر مكان في حريق وسعر   لأنك الجاحد يا شر البشر

فقتل زجر، قاتل أخيه، ثم شد على الأعداء قائلا:

خلو عداة الله خلو عن عمر   خلو عن الليث الهصور المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر   وليس فيها كالجبان المنحجر[2]

عبد الله بن علي بن أبي طالب

وأمه أم البنين عليها السلام، تقدم نحو المعركة راجزاً بقوله:

أنا ابن ذي النجدة والأفضال   ذاك علي الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذو النكال   في كل يوم ظاهر الأهوال[3]

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين: ١٥٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر: ١٥٨.

جعفر بن علي بن أبي طالب

أمه أم البنين عليها السلام، مشى نحو المعركة راجزاً :

إنـــي أنـــا جعفـــر ذو المعـــالي   ابـــن علـــي الخـــير ذو النـــوال

حـــسبي بعمـــي شـــرفاً وخـــالي(١)

عثمان بن علي بن أبي طالب

أمه أيضاً أم البنين عليها السلام، هجم بعد مقتل أخويه قائلا :

إنـــي أنـــا عثمـــان ذو المفـــاخر   شـــيخي علـــي ذو الفعـــال الطـــاهر

هـــذا حـــسين خـــيرة الاخـــاير   وســـــيد الـــــصغار والأكـــــابر

بعـــد الرســـول والوصـــي الناصـــر(٢)

العباس بن علي بن أبي طالب

فإنّه عليه السلام بعدما قدّم إخوته الثلاثة وقتلوا، خرج طالباً قليلا من الماء لحرم رسول الله؛ لأن الظمأ أخذ منهم مأخذاً عظيماً، بعد أن منعوهم من شربه، فإنّه عليه السلام اتجه نحو القوم قائلا :

لا أرهـــب المـــوت إذا المـــوت رقـــى   حتـــى أُوارى في المـــصاليت لقـــى

نفسي لـسبط المـصطفى الطهـر وقـا   إنـــي أنـــا العبـــاس أغـــدو بالـــسقا

ولا أخـــاف الـــشر يـــوم الملتقـــى

ففرقهم تفريقاً، ولكن قطعوا يمينه، فأخذ السيف بشماله وهو يرتجز بقوله :

والله إن قطعتمـــــوا يمـــــيني   إنـــي أحـــامي أبـــداً عـــن ديـــني

وعـــن إمـــام صـــادق الـــيقين   نجـــل الـــنبي الطـــاهر الأمـــين

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

نــــبي صــــدق جاءنــــا بالــــدين مــــصدقاً بالواحــــد الأمــــين

ثم تكاثروا عليه وقطعوا شماله فقال عليه السلام:

يــا نفــس لا تخــشي مــن الكفــار وأبــشري برحمــة الجبــار
مــع الــنبي الــسيد المختــار قــد قطعــوا ببغــيهم يــساري
فأصــلهم يــا رب حــر النــار[1]

الحسين بن علي بن أبي طالب

نظر عليه السلام إلى معسكره فلم يجد له ولياً ولا نصيراً، إذ أنّ أصحابه ورجال أهل بيته، صرعتهم يد المنون، وكلّما أمعن النظر فلم يجد سوى أطفال وحريم، يتصارخون من شدة الظمأ، قد أثكلهم هول المصاب، وقد تكاثر عليه أعداؤه من كل صوب وحدب، فبرز إليهم مرتجزاً بقوله:

المــوت أولى مــن ركــوب العــار والعــار أولى مــن دخــول النــار
والله مــا هــذا وهــذا جــاري

ثم شد عليهم كالليث الغضبان قائلا:

أنــا الحــسين بــن علــي آليــت أن لا أنــثني
أحمــي عيــالات أبــي أمــضي علــى ديــن الــنبي [2]

هذه نخبة من الأراجيز، التي تضم في طياتها كل معاني الخير والكمال. وقد كشفت لنا عن نفسية ثورية خيرة، أبت أن تخضع لواقع يتنافى مع عقيدتها وإيمانها.

تاركة في سبيل ذلك كل غال وثمين، ولم تبخل بأي عطاء في سبيلها والدفاع عنها، ولم تؤثر فيها الإطماع والأهواء، ولم يغرها سلطان ولا جاه ولا مال، بل آثرت نعيم الآخرة على نعيم الدنيا الفاني.

(١) مقتل الحسين، الأمين: ١٥٩، مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٨، مقتل أبي مخنف: ٥٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٣٤٥، مقتل الحسين عليه السلام، الأمين: ١٦٢.

فهي دائماً وأبداً تنشد رضى الله تعالى وتبغي طاعته ورضوانه، مدافعة عن شرعة الحق والخير؛ لأن أصحابها هم ذوو مبدأ ورائد ورسالة وتلاميذ مدرسة، أشاد بنيانها أبو الشهداء الحسين عليه السلام، فهي مدرسة لها أسسها وتعاليمها ومنهجيتها، في الفكر والسلوك.

وهي تماماً على نقيض المدرسة الأموية، بكل مفاهيمها وأبعادها، والتي قد تخرج منها الجيش الأموي، الذي حضر واقعة كربلاء. فهو يحمل خصائص وروحية وطابع تلك المدرسة، وهو خير مصداق لتجسيد أفكارها وتعاليمها. فتلاميذها هم شذاذ الآفاق، ومحرفوا الكلم عن مواضعه، ومطفئوا السنن. وإتباعها عبدة المادة، وإيمانهم الجاه والسلطان.

فهذا رأس الجيش الأموي في كربلاء، عمر بن سعد، وأحد أقطاب هذه المدرسة، يعطينا نموذجاً لمفاهيمها وأفكارها، وذلك لّما طلب منه عبيد الله بن زياد، أن يخرج لحرب الحسين فبقي ليلته مفكراً قلقاً حائراً، يخير نفسه بين نعيم الآخرة وبين ملك الدنيا، حتى سُمع يقول كما جاء في تاريخ ابن الأثير:

أأترك ملك الري، والري منيتي ... أم ارجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب، وملك الري قرة عيني[١]

فبهذه الوثيقة يتبين لنا عقلية قائد الجيش الأموي، ومدى إيمانه وتأثره بالإسلام. فهو يقدم على قتل ابن بنت رسول الله، في حين يعلم أنّ مصيره النار، وكما صرح هو بقوله: «وفي قتله النار التي ليس دونها» ويكون الثمن على ذلك ولاية ملك الري، فإنها قرة عينه.

وكيف لا يقدم على مثل هذه الجريمة، ما دام مفهومه ومقياسه في هذه الحياة المادة واللذة.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٨٣.

هذا نموذج واحد من أقطاب هذه المدرسة، وهناك مئات من النماذج الأخرى، التي لا يسعنا ذكرها بتفاصيلها وأبعادها، خشية الإطالة والخروج عن الموضوع.

ولكنني أود أن أذكر نموذجاً آخر، يمثل مفهوم وعقلية هذه المدرسة أيضاً؛ ليكون برهاناً ساطعاً، لمن يريد أن يعرف الحق وأهله.

فقد ذكر الطبري وابن الأثير: أنّ سنان بن انس النخعي قاتل الحسين عليه السلام، جاء إلى عمر بن سعد يطلب الجزاء المادي على قتله لابن بنت نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قائلا:

أوقـــر ركـــابي فـــضة وذهبـــا ... إنـــي قتلـــت الـــسيد المحجبـــا
قتلـــت خـــير النـــاس امـــاً وأبـــا ... وخيرهـــم اذ ينـــسبون نـــسبا[١]

وما أدري كيف نستطيع أن نحكم على مثل قائل هذين البيتين، إنّه مسلم ويدين بالشريعة المقدسة، مع أنّه يعترف بأنّه قتل خير الناس أماً وأبا، ولو قارنّا هذين البيتين مع الأراجيز التي قيلت في المعركة، من قِبل الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام في كربلاء.

فمثلا محمّد بن عبد الله بن جعفر الطيار يقول:

أشـــكو إلى الله مـــن العـــدوان ... قتـــال قـــوم في الـــردي عميـــان
قـــد تركـــوا معـــالم القـــرآن ... ومحكـــم التنزيـــل والتبيـــان
وأظهـــروا الكفـــر مـــع الطغيـــان[٢]

لرأينا بوضوح الفرق الشاسع بين قوى الإيمان الخيرة، وبين قوى الضلال والانحراف والردة.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣: ٢٩٦.

وبهذا العرض الوجيز يتبين لنا الفرق الكبير بين اتجاه المدرستين، المدرسة الحسينية، والمدرسة الأموية.

«وكل إناء بالذي فيه ينضح».

١٢٣ ـ صلاة في معركة

الصلاة لا تترك بحال من الأحوال، لأنها الرابطة الروحية بين العبد وخالقه، وهي من أهم الفرائض الإسلامية، التي لا يمكن التواني أو التردد فيها، والتي عبّر عنها الحديث الشريف: بـ«عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها» و«أنّ المستخف بها مستخف بأحكام الله»، و«لن ينال شفاعتنا أهل البيت، من كان مستخفاً بصلاته» على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام.

كما أنها صلة بين الإنسان وخالقه، ومعراج المؤمن وقربانه، ولهذا نرى الإمام الحسين عليه السلام مكثراً لها في جميع أدوار حياته، حتى في أيام عاشوراء؛ لأنّه عليه السلام كان يحبها، كما قال ذلك عندما زحف إليه عمر بن سعد، بجيشه الجرار في عشية يوم التاسع من محرم، فطلب عليه السلام منهم إمهاله هذه العشية قائلا:

«لعلنا نصلّي لربنا الليلة ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار».

ولّما حان وقت صلاة الظهر من يوم العاشر من محرم، وهم في ساحة المعركة، التفت إليه أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قائلا:

يا أبا عبد الله! نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى اقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة، التي دنا وقتها.

الحسين عليه السلام: يرفع رأسه إلى السماء قائلا:

«ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم هذا أول وقتها، سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلّي».

الحصين بن تميم: يستهزئ بصلاة الحسين قائلا: إنّها لا تقبل.

حبيب بن مظاهر يرد عليه بقوله:

زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقبل منك يا حمار[1].

وهكذا نرى الحسين عليه السلام يهتم بالصلاة، حتى في أصعب الظروف وأشدها، فيصلّي بأصحابه صلاة الظهر.

فالصلاة هي قربان روحي للمؤمن، وجهاد الحسين عليه السلام قربان مادي، وقدم عليه السلام القرابين في ساحة القتال لله، فهو مع الله روحاً وجسداً.

وتقدم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي؛ ليحرسانه ويقيانه من السهام. فما أتم صلاته، إلاّ وسعيد بن عبد الله قد أثخن بالجراح، فسقط إلى الأرض وهو يقول:

اللّهم العنهم لعن عاد وثمود، وأبلغ نبيك مني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، ثم التفت إلى الحسين عليه السلام قائلا: أوفيت يابن رسول الله؟

الحسين عليه السلام:

أنت أمامي في الجنة.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٤.

ثم يلتفت الحسين عليه السلام إلى أصحابه قائلا :

«يا كرام! هذه الجنة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها. وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه، وذبّوا عن حرم الرسول».

فأجابه الأصحاب بلسان واحد :

«نفوسنا لنفسك الفداء، ودماؤنا لدمك الوقاء، فوالله! لا يصل إليك وإلى حرمك سوء، وفينا عرق يضرب»[1].

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٠٥.

الحسين يقف على قتلاه

١٢٤ ـ الحسين يقف على قتلاه

مسلم بن عوسجة الأسدي

كان صحابياً ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما صرح ابن سعد في طبقاته، وهو من أشراف قومه وشجعانهم. وكان متعبداً وناسكاً ومن القراء، ولمّا اخبر الحسين عليه السلام بمصرعه مشى إليه، ومعه حبيب بن مظاهر، فإذا به رمق.

الحسين عليه السلام:

رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة!

ثم قرأ قوله تعالى:

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

حبيب بن مظاهر دنا من مسلم قائلا:

عزّ عليّ مصرعك يا مسلم! ابشر بالجنة.

فأجابه مسلم بصوت ضعيف:

بشرك الله بخير.

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٢٣.

حبيب :

لولا أني أعلم أني في اثرك، ولاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك، حتى أحفظك في كل ذلك، بما أنت أهل له في القرابة والدين.

مسلم :

بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله (وأشار إلى الحسين) أن تموت دونه.

حبيب :

أفعل ورب الكعبة! ثم فاضت روحه الطاهرة، وصاحت جارية له: يا ابن عوسجتاه! يا سيداه!

فتنادي جند أمية : قتلنا مسلم بن عوسجة.

فقال شبث بن ربعي، شاهداً بحقه : ثكلتكم أمهاتكم، إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، تذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له، لرُب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم! لقد رأيته يوم سلق أذربيجان، قتل ستة من المشركين، قبل تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون[1]؟!

حبيب بن مظاهر

حبيب بن مظاهر الأسدي، كان صاحبياً رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقاتل مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في جميع حروبه، وهو من خواصه وحملة علومه. وقد تحدث أرباب السير والرجال كثيراً عنه. فنقل الكشي عن فضيل بن الزبير،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٢، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٢٩٧.

قال: مر ميثم التمار على فرس له، فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلفت عنقا فرسيهما. فقال حبيب:

لكأني بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه، فتبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم:

وإني لأعرف رجلا أحمر، له ضفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيقتل ويجال برأسه في الكوفة.

ثم افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أكذب من هذين، فلم يتفرق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما. فقالوا افترقا، وسمعناهما يقولان: كذا وكذا.

فقال رشيد:

رحم الله ميثماً نسي، ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مئة درهم.

ثم أدبر[(١)].

فقال القوم: هذا والله أكذبهم. قال: فما ذهبت الأيام والليالي، حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث. وجيء برأس حبيب وقد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كل ما قالوا[(٢)].

وتظهر منزلته وعلو شأنه من هذا الكلام؛ ولهذا اختاره الحسين قائداً لميسرة جيشه. وله خطب ومواعظ ومواقف في واقعة كربلاء. وهو أيضاً من شجعان العرب

---

(١) انظر تفصيل ذلك في إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمّد السماوي: ٦٥، تاريخ الطبري ٤: ٣٣٥.

(٢) نفس المصدر.

وفرسانهم، قتل على كبر سنه اثنين وستين رجلا، كما يقول المقرم[١].

ولّما سمع الحسين عليه السلام بمقتله هدّه ذلك وقال:

«عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي، واسترجع كثيراً»[٢].

الحر بن يزيد الرياحي

الحر بن يزيد الرياحي التميمي، أحد قواد الجيش الأموي. أدركته الهداية، فترك قيادة الجيش، وجاء إلى الحسين منكساً رأسه حياءً من آل الرسول؛ لأنه هو الذي جعجع بهم في هذا المكان، على غير ماء ولا كلأ قائلا:

اللّهم إليك أنيب، فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك. يا أبا عبد الله! إني تائب، فهل لي من توبة؟

فقال الحسين عليه السلام:

نعم يتوب الله عليك.

ثم طلب الإذن بالقتال. فهجم على القوم ومعه زهير بن القين، فقاتلا قتالاً شديداً، فكان إذا شد أحدهما، فإن استلحم شد الآخر حتى يخلصه، ففعلا ذلك ساعة. فشدت الرجال على الحر فقتلته[٣].

فجاء إليه الحسين عليه السلام ووقف عليه قائلا:

«أنت كما سمتك أمك، حر في الدنيا وسعيد في الآخرة».

كلمة موجزة أبّن عليه السلام بها الحر، فكانت المصداق الواقعي للحرية،

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٥.

التي تحرر بها الحر من القيود، التي تكبل إرادة الإنسان الخيرة. قيود المادة بمفهومها وسلطانها المهيمن على النفوس الضعيفة، التي سرعان ما تخضع وتركع أمام جبروتها ومغرياتها.

وما أكثر هذه النفوس في كل عصر وزمان، إلاّ أن هناك بعض النفوس، استطاعت أن تتحرر من هذه القيود، وتنطلق من رواسبها وآثارها، فلم تؤثر فيها مغريات الحياة، ولا غرور المنصب، ولا طغيان الجاه والزعامة، ولا حب المال.

من أمثال: الحر بن يزيد الرياحي، فإنّه ترك المنصب والوظيفة والزعامة؛ لأنّها تقيّد نفسه الحرة، التي أبت أن تكون أسيرة وخاضعة، فلهذا انطلق مع ركب الشهداء الأحرار، واستشهد في صبيحة عاشوراء.

فوقف أبو الشهداء عليه السلام عليه قائلا:

«أنت كما سمتك امك، حر في الدنيا، وسعيد في الآخرة»[١].

زهير بن القين

زهير بن القين البجلي، له مواقف مشهورة، وشهد بعض المغازي، وكان عثماني العقيدة. فالتقى بالحسين عليه السلام في طريق عودته من الحج، فصار علوياً، وقاتل بين يدي الحسين عليه السلام قتال الأبطال حتى قتل.

فوقف الحسين عليه السلام على جثمانه قائلا:

«لا يبعدنك الله يا زهير! ولعن قاتليك، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير»[٢].

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي: ١٤٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٠٦، تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦.

عمرو بن قرظة

وجاء عمرو بن قرظة الأنصاري، ووقف أمام الحسين عليه السلام، يتلقى سهام الأعداء بصدره ونحره؛ ليقي الحسين بنفسه، حتى اثخن بالجراح، فسقط قائلا للحسين عليه السلام: أوفيت يابن رسول الله؟

الحسين عليه السلام:

«نعم أنت أمامي في الجنة، فاقرأ رسول الله عني السلام، واعلمه أني في الأثر»[١].

واضح التركي

واضح التركي مولى للحرث المذحجي، فإنّه لما صرع جاءه الحسين واعتنقه.

واضح: فتح عينيه بوجه الحسين قائلا: من مثلي وابن رسول الله واضعاً خده على خدي[٢].

جون مولى أبي ذر

جون مولى أبي ذر الغفاري، عبد أسود خرج إلى الأعداء بعد أن أذن له الحسين بالقتال، وهجم على القوم فقَتل وقُتل، فمشى إليه الحسين عليه السلام، ووقف على مصرعه قائلا:

«اللهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع محمّد، وعرّف بينه وبين آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم».

فكان لا يمر عليه أحد في المعركة إلاّ ويشم منه رائحة طيبة أزكى من المسك[٣].

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٧ ٣٠٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الوثيقة (١٢٠) من هذا الكتاب.

١٢٥ ـ الحسين عليه السلام وقتلى أهل بيته عليهم السلام

علي الأكبر عليه السلام

هو نجل الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه ليلى بنت ميمونة بنت أبي سفيان. فإنّه عندما خرج للقتال، ناداه رجل من الأعداء، يا علي! إنّ لك رحماً بأمير المؤمنين (يزيد) ونريد أن نرعى الرحم، فإن شئت آمناك.

علي الأكبر يرد عليه قائلا:

إن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق أن ترعى.

وكان عليه السلام، أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولّما خرج للمبارزة، لم يتمالك الحسين دون أن أرخى عينيه بالدموع، وقال مخاطباً عمر بن سعد:

«ما لك! قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسلط عليك من يذبحك على فراشك»[١].

ثم رفع شيبته المباركة نحو السماء قائلا:

«اللّهم اشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمّد، خلقاً وخلقاً ومنطقاً. وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه.

اللّهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً. فإنّهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

ثم تلا قوله تعالى:

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ٢: ٣٠.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

وجاء يطلب الماء من أبيه، بعد أن اشتد به العطش. فقال له الحسين عليه السلام:

«يا بني! ما أسرع الملتقى بجدك، فيسقيك بكأسه شربةً، لا تظمأ بعدها أبداً».

ثم هجم على القوم في عدّة صولات، قتل فيها منهم تمام المائتين[٢]، ولّما أكثر فيهم القتل، أحاطوا به من كل جانب، حتى طعنه مرة بن منقذ العبدي بالرمح في ظهره، وضربه آخر بالسيف على هامته، فنادى رافعاً صوته:

«عليك مني السلام، يا أبا عبد الله، هذا جدّي قد سقاني بكأسه شربةً لا اظمأ بعدها، ويقول إنّ لك كأساً مذخورة»[٣].

وقد احتوشه الناس من كل جانب، فقطعوه بأسيافهم، فأتاه الحسين وانكب عليه قائلا:

«قتل الله قوماً قتلوك يا بني! ما أجرأهم على الرحمان، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفا»[٤].

القاسم بن الحسن

القاسم هو ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه رملة، وهو غلام لم يبلغ الحلم، وقد خرج إلى الأعداء، ووجهه كأنّه شقة قمر، وفي يده السيف، وعليه قميص وأزار ونعلان.

---

(١) آل عمران (٣): ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٢٢.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ٢: ٢١.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٠.

فأذن له الحسين عليه السلام بالقتال، بعد إلحاح وإصرار منه، فجعل عليه السلام يقاتل القوم، وانقطع شسع نعله اليسرى، فأنف أن يقاتل في الميدان على هذا الحال. فوقف يشد شسع نعله، وإذا بعمرو بن نفيل الأزدي، يضربه بالسيف على رأسه، فصرخ منادياً :

يا عماه!

فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر، ثم شد شدة ليث غضب، فضرب عمراً بالسيف فاتقاها بالساعد، فاطنها من المرفق، فصاح، ثم تنحى عنه.

وحملت خيل لأهل الكوفة، ليستنقذوه من الحسين عليه السلام، فوطأته حتى مات، وانجلت الغبرة، وإذا بالحسين عليه السلام واقف على رأس القاسم، وهو يفحص برجليه، فقال عليه السلام :

«بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدّك! عز والله على عمك، أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك! يوم والله كثر واتره، وقل ناصره»[١].

ثم قال عليه السلام :

«اللّهم أحصهم عدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، اللّهم إن كنت حبست عنّا النصر في الدنيا، فاجعل ذلك لنا في الآخرة، وانتقم لنا من القوم الظالمين».

ثم التفت إلى أهل بيته وبني عمومته قائلا :

«صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم»[٢].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٣٢، تاريخ الطبري ٤: ٣٤١.

(٢) نفس المصدر.

العباس بن علي

العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة بنت حزام الكلابية، وتكنى بأم البنين. ولد عليه السلام في سنة ست وعشرين هجرية، وقتل في معركة كربلاء سنة ٦١ هـ، ويكنى بأبي الفضل، ويلقب بقمر بني هاشم، ولقب أيضاً بعد مقتله: بساقي العطاشى. وكان شجاعاً، فارساً، وسيماً، جسيماً، يركب الفرس المطهم، ورجلاه تخطان في الأرض.

وقال عنه الإمام الصادق عليه السلام:

«كان عمنا العباس بن علي، نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسناً، ومضى شهيداً»[1].

وحمل لواء أخيه الحسين في المعركة. ولمّا قتل جميع الذين كانوا مع الحسين في المعركة، من فرسان أهل بيته وأنصاره، ولم يبق له ولي ولا نصير، وانقطع عنه المدد، ونال الظمأ من النساء والأطفال، بعد أن منعوهم من الماء ثلاثة أيام. ولمّا سمع العباس عليه السلام، عويل النساء وصراخ الأطفال؛ من شدة العطش. لم يطق صبراً، ولم تسمح له نفسه بما يرى، فلم يتمالك إلاّ أن جاء إلى أخيه الحسين عليه السلام، طالباً منه الإذن بقتال الأعداء.

فقال له عليه السلام:

«يا أخي أنت صاحب لوائي».

فأعاد الطلب ثانياً وثالثاً، قائلا:

«قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأريد أن آخذ بثأري منهم»

فأذن له الحسين.

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمّد السماوي: ٣٠.

فخرج إلى القوم واعظاً ومحذراً، فلم تنفعهم موعظة ولا تحذير، فنادى بصوت عال:

«يا عمر بن سعد! هذا الحسين ابن بنت رسول الله، قد قتلتم أصحابه وأهل بيته، وهؤلاء عياله وأولاده عطشى، فاسقوهم من الماء قد أحرق الظمأ قلوبهم».

شمر يرد عليه قائلا: يابن أبي تراب، لو كان وجه الأرض كله ماء، وهو تحت أيدينا، لما سقيناكم منه قطرة، إلاّ أن تدخلوا في بيعة يزيد[١].

ولّما سمع مقالة الشمر، لم يتمالك، فهجم على الفرات، فأحاط به أربعة آلاف فارس وراجل، ورموه بالنبال، فلم يَرُعْهُ جمعهم وعددهم، فكشفهم عن الماء، ونزل إلى الفرات، بعد أن اشتدّ به العطش، فاغترف منه بيده ليشرب، فتذكر عطش الحسين وأطفاله وعياله، وصراخهم من شدة الظمأ. فرمى الماء من يده، وفاءً ومواساةً لآل البيت (عليهم السلام) وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين

تاللّهِ ما هذا فِعال ديني[٢]

وهكذا يجب أن تكون المواساة الحقيقية في الاخوة الصادقة، حيث إنّ العباس أبى أن يرتوي هو وحده، والحسين وأهل بيته يتلظون عطشاً. فهذا هو العطف الأخوي الصادق، والوفاء النبيل في أشد الظروف وأقساها.

ولّما رمى الماء من يده، ملأ القربة، وركب جواده، وكر راجعاً نحو مخيم آل البيت، ليروي عطشهم، فتكاثر عليه الأعداء من كل حدب وصوب، وسدّوا عليه

(١) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٣٤ و٣٣٦.

(٢) نفس المصدر.

الطريق؛ حتى لا يوصل الماء إلى الحسين وآله، فكشفهم عن الطريق قائلا :

لا أرهــب المــوت إذا المــوت رقــا حتــى أُوارى في المــصاليت لقــى[(١)]

وبينما هو يقاتل، كمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة، وضربه على يمينه فبراها، فقال :

واللّه إن قعطــتم يمــيني إنــي أُحــامي أبــداً عــن ديــني[(٢)]

فأخذ السيف بشماله، وهمه الوحيد إيصال الماء إلى أطفال الحسين عليه السلام، وإذا بزيد بن ورقاء الجهني، وقد ضربه من وراء نخلة على شماله فقطعها، وتكاثروا عليه، وأتته السهام من كل جانب كأنها المطر، فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها، وضربه رجل بالعمود على رأسه، فهوى عليه السلام إلى الأرض منادياً : عليك مني السلام أبا عبد الله.

فانقض عليه الحسين كالصقر، فرآة مقطوع اليدين، مرضوخ الجبين، مشكوك بسهم في العين، مطروحاً على الصعيد، قد غشيته الدماء، وجللته السهام، فرثاه قائلا :

«الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمت بي عدوي».

ولّما سمعن النسوة بمقتله، أصابهن الهلع والخوف، وفقدن الأمل والاطمئنان.

ورجع الحسين إلى مخيمه حزيناً منكسراً، وقد تدافعت الأعداء على مخيمه، فنادى بأعلى صوته :

«أما من مغيث يغيثنا، أما من مجير يجيرنا، أما من طالب حق ينصرنا، أما من خائف من النار فيذب عنا»[(٣)].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الوثيقة رقم (١٢٢) من هذا الكتاب.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المنتخب، الطريحي: ٣١٣

فصاحت أخته زينب:

«وا أخاه! وا عباساه! وا ضيعتنا بعدك!».

وهذه الصيحة تكشف مدى تأثر حرم أهل البيت بمقتله عليه السلام، واضطرابهن وخوفهن ووجلهن، بعد فقده ومقتله؛ لأنه كان عماد اخبيتهن، ومسكن روعهن، ولواؤه كان يرفرف على رؤوسهن، فكن ينَمنَ قريرات مطمئنات.

بعكس الأعداء، فقد كانت عيونهم ساهرة، خوفاً من سطوته وبطشه. وبعد مقتله انعكس الأمر، وصارت بنات الرسالة، قلقات على مصيرهن وأمرهن، كما قال الشاعر:

اليوم نامت أعين بك لم تنم   وتسهدت اخرى فعز منامها

١٢٦ ـ الحسين ينادي قتلاه

ولّما قتل جميع فرسانه ورجاله، وبقي وحيداً، لا ناصر له ولا معين، أخذ يجول بنظره يميناً وشمالا، علّه يجد أنصاراً وأعواناً، فلم يرَ إلاّ أجساماً مجزرة ومضرجة كالأضاحي، قد صافحها التراب، وأحرقها هجيرُ الشمس.

فنادى أهل بيته وأصحابه وأنصاره بهذه النداء:

«يا مسلم بن عقيل! ويا هاني بن عروة! ويا حبيب بن مظاهر! ويا زهير بن القين! ويا يزيد ابن مهاصر! ويا فلان ويا فلان: يا أبطال الصفا، ويا فرسان الهيجا، ما لي أناديكم فلا تسمعون؟ وأدعوكم فلا تجيبون؟ أنتم نيام أرجوكم تنتبهون. أم حالت مودتكم عن إمامكم، فلا تنصروه. هذه نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا عن نومتكم أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغام اللئام، ولكن

صرعكم والله ريب المنون، وغدر بكم الدهر الخئون، وإلاّ لما كنتم عن نصرتي تقصرون، ولا عن دعوتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفجوعون، وبكم لاحقون، فإنا لله، وإنا إليه راجعون»[1].

ثم صاح بأعلى صوته:

«هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟».

فلمّا سمع زين العابدين السجاد عليه السلام، استغاثة أبيه، نهض يتوكأ على عصا، ويجر سيفاً؛ لأنّه مريض لا يستطيع الحركة.

فقال الحسين عليه السلام لأخته أم كلثوم:

«احبسيه، لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمّد».

فأرجعته إلى فراشه[2].

١٢٧ ـ الحسين وطفله

كان الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم، يقدم رجاله قرباناً بعد قربان، وضحية تلو ضحية، في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وتحطيم كلمة الانحراف والضلال، وهو يقول:

«اللّهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى».

ولّما لم يبقَ في خيامه سوى أطفاله ونسائه، فإنّه عندئذ دعا بولده الرضيع عبد الله، وأمه الرباب، بعد أن جف اللبن في ثدييها من شدة الظمأ.

---

(١) مقتل أبي مخنف: ٨٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ٣٤٠.

فأخذه عليه السلام وجاء به إلى القوم، طالباً منهم أن يسقوه جرعة من الماء، ومخاطباً إياهم بقوله:

«إن كان هناك ذنب للكبار، فما ذنب الصغار، ألم تروه كيف يتلظى عطشاً»؟

فاختلف العسكر فيما بينهم، بعضهم يقول: اسقوه؛ فإنّه لا ذنب له. والآخر يقول: لا تسقوه أبداً، ولا تبقوا من أهل هذا البيت باقية.

عمر بن سعد: يلتفت إلى حرملة بن كاهل الأسدي قائلا له: اقطع نزاع القوم يا حرملة!

حرملة: رمى الطفل بسهم، فذبحه من الوريد إلى الوريد.

الحسين عليه السلام تلقى دم طفله المذبوح بكفه، ورمى به إلى السماء قائلا:

«هون ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى. اللّهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنّا النصر، فأجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين[١]، واجعل ما حلّ بنا في العاجل، ذخيرة لنا في الآجل. اللّهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّهم نذروا أن لا يتركوا أحداً من ذرية نبيك محمّد»[٢].

وسمع عليه السلام قائلا يقول:

«دعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنة».

ثم نزل عليه السلام وحفر له بجفن سيفه، وصلّى عليه ودفنه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٢.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٤، مقتل أبي مخنف: ٨٣، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٢.

١٢٨ ـ الحسين يحمل على الأعداء

ولّما لم يجد الحسين عليه السلام بداً، إلاّ الدفاع عن دين جدّه محمّد، والمحاماة عن حرمه وعياله. بعد أن فقد الناصر والمعين، فإنّه عليه السلام برز إلى الأعداء، مصلتاً سيفه، وداعياً الناس إلى البراز. فلم يزل يقتل كل من برز إليه، حتى قتل جمعاً كثيراً[١]، ثم حمل على الميمنة والميسرة.

قال عبد الله بن عمّار: إنّه حمل على من عن يمينه حتى انذعروا، وعلى من عن شماله حتى انذعروا، وعليه قميص له من خز، ومعتم بعمامة، فوالله ما رأيت مكثوراً[٢] قط، قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجرأ مقدماً منه. والله! ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله، انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب[٣].

فأكثر عليه السلام فيهم القتل، حتى خشي عمر بن سعد أن يُفنى جيشه، إن بقي الحسين على حاله، فصاح بجيشه: هذا ابن الانزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كل جانب، فأتته أربعة آلاف[٤].

١٢٩ ـ الحسين يصرخ بالجيش منددا بنذالتهم

وحال الرجال بينه وبين حرمه، وأرادوا التعرض لها، فصرخ فيهم الحسين عليه السلام، مندداً بقبح أفعالهم هذه، قائلا لهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون

(١) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ٢: ٣٣.

(٢) المكثور: المغلوب، وهو الذي كثر عليه الناس فقهروه.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٢٣.

المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عرباً كما تزعمون، امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهّالكم».

شمر: ما تقول يابن فاطمة؟

الحسين عليه السلام:

أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً.

شمر: ذلك لك يابن فاطمة(١).

فعندئذ قصده القوم بنفسه، واشتد القتال بينه وبينهم، وقد نال العطش منه عليه السلام. فحمل على الفرات وكشفهم عنه وأقحم الفرس في الماء، وأراد أن يشرب منه.

فناداه رجل من القوم:

أتلتذ بالماء يا حسين وقد هتكت حرمُك؟ فرمى الماء من يده وقصد خيامه وحرمه.

١٣٠ ـ الوداع الأخير

ورجع إلى خيامه وحرمه؛ ليرعاها ويحميها، ما دام على قيد الحياة؛ لأنّه يعلم أنّه بعد سويعات، ستبقى من دون حمي ولا نصير، فنادى نداء وداع وفراق، لا أمل فيه بلقاء وعودة، وناداهن بقلب محزون مفجوع:

«يا أم كلثوم! ويا زينب! ويا سكينة!، ويا رقية! ويا عاتكة! ويا صفية! عليكن مني السلام، فهذا آخر الاجتماع، وقد قرب منكن الافتجاع».

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٤، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٦.

فأحطن به بنات الرسالة، من كل جانب، هذهِ تشمه، وأخرى تأخذ بردائه، وثالثة تستنجد به، ورابعة تقول: يا أخي! ردنا إلى حرم جدّنا.

فقال لها الحسين عليه السلام:

«يا أُختاه! هيهات هيهات، لو ترك القطا لنام».

فقالت أم كلثوم:

يا أخي! كأنك استسلمت للموت؟!

الحسين عليه السلام:

«يا أخية! كيف لا يستسلم مَن لا ناصر له ولا معين»[١].

ثم سأل عليه السلام عن عزيزته سكينة، لأنّه لم ير شخصها، ولم يسمع صوتها. فقيل له: إنّها في خيمتها تبكي. فجاء إليها وضمها إلى صدره قائلا:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت، فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

ثم إنه عليه السلام ودع عياله ونساءه وأمرهم بالصبر قائلا:

«استعدوا للبلاء، واعلموا أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة. فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم»[٢].

---

(١) مقتل أبي مخنف: ٨٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٨.

ثم رفع طرفه إلى السماء وقال:

«اللّهم امسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض. اللّهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً. فإنّهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا»[١].

١٣١ ـ الحسين يعيد كرة الهجوم

ثم إنّه عليه السلام دعا بسروال يماني محكم النسج، يلمع فيه البصر، فخرقه وفزره حتى لا يطمع فيه أحد؛ لأنه عليه السلام يعلم أنّه يسلب بعد مقتله، فقيل له: لو لبست تحته تباناً وهو سروال صغير فقال عليه السلام:

ذلك ثوب مذلة، ولا ينبغي لي أن ألبسه[٢].

ثم حمل على القوم وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع، يتقي الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل قائلا:

«أعلى قتلي تحاثون؟! أما والله! لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، والله أسخط عليكم لقتله مني. وايم الله! إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون. أما والله! أن لو قد قتلتموني لألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم، حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»[٣].

ثم أخذ يقاتل القوم قتالا شديداً، وبينما هو يقاتل إذ أخذ العطش منه مأخذاً عظيماً، فاتجه نحو الفرات، يريد أن يروي عطشه؛ ليستعين على قتال أعدائه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦.

فنادى: رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم! حولوا بينه وبين الماء، لا تتام إليه شيعته[١].

فتكاثروا عليه، وأحاطوا به، فشد عليه السلام عليهم، حتى كشفهم. فجاءه سهمان فوقع أحدهما في عنقه، والآخر في فمه، فانتزعهما، وبسط كفيه فامتلأتا دماً، ثم قال:

«اللّهم إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك. اللّهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً»[٢].

ثم جاء عليه السلام إلى حرمه ليسكن روعهن، ويطمئن نفوسهن.

وبينما هو مشغول بنفسه وحرمه، صاح عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم، لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم.

فحملوا عليه يرمونه بالسهام، حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم. وشك سهم ببعض ازر النساء، فدهشن وأرعبن، وصحن ودخلن الخيمة، وهن ينظرن إلى الحسين كيف يصنع.

فحمل عليه السلام كالليث الغضبان، فلا يلحق أحداً إلاّ بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كل ناحية، وهو يتقيها بصدره ونحره[٣]، حتى اُثخن بالجراح من كثرة ما اُصيب، والدماء تنزف منه.

فرماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه، وسالت الدماء على وجهه الشريف فقال:

---

(١) نفس المصدر: ٣٤٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٠.

«اللّهم إنّك ترى ما أنا فيه، من عبادك هؤلاء العصاة. اللّهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً».

ثم توالوا عليه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ورمياً بالسهام، ورضخاً بالحجارة، فلم يتمالك عليه السلام، وضعف عن القتال، فوقف ليستريح؛ علّه يجد قوة، ويزداد نشاطاً، ليحامي عن رسالته ومقدساته. فرضخه رجل بحجر على جبهته، فسال الدم على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه. فرماه آخر بسهم ذي ثلاثة شعب، فوقع في صدره، فأخرج السهم من قفاه، وانبعث الدم كالميزاب[1].

فقال:

«بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، إلهي إنك تعلم، أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره، هون عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله».

ثم إنّه عليه السلام لطخ به رأسه ووجهه ولحيته، وقال:

«هكذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا مخضب بدمي وأقول: يا جدّ! قتلني فلان وفلان»[2].

ثم صاح عليه السلام بأعلى صوته:

«يا امة السوء! بئسما خلفتم محمّداً في عترته، أما إنكم لا تقتلون رجلا بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وايم الله! إني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم، من حيث لا تشعرون».

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ٢: ٣٤، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥١ و٣٥٢.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي ٢: ٣٤، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥١ و٣٥٢.

فقال الحصين: بماذا ينتقم لك منا يابن فاطمة؟

الحسين عليه السلام:

«يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصب عليكم العذاب صباً»(١).

١٣٢ ـ الأطفال ينتصرون للحسين عليه السلام

لّما اثخن الحسين عليه السلام بالجراح، وأعياه نزف الدم واضعف قواه، ولم يتمالك الوقوف من كثرة الجراحات، وشدة النزف. بقي عليه السلام جالساً يرعى أطفاله وحرمه، بقلبه وبصره، وقد أحاط به الأعداء من كل صوب، وأحدقوا به من كل جانب. وهو مع هذا لا يستطيع النهوض.

فنظر عبد الله بن الحسن (وهو غلام) إلى عمه الحسين بهذا الحال، فلم يتمالك، دون أن أقبل مسرعاً إلى عمه، وأرادت زينب (عليهم السلام) حبسه فأفلت منها. وجاء فوقف عند عمه، وإذا ببحر بن كعب يريد أن يضرب الحسين بالسيف.

الغلام صاح به:

يابن الخبيثة! أتضرب عمي؟!

فأجابه ابن كعب بضربة، فاتقاها الغلام بيده، فأطنها إلى الجلد، فإذا هي معلقة.

فصاح الغلام:

يا عماه! ويا اماه.

ووقع في حجر عمه الحسين عليه السلام، فضمه إلى صدره قائلا:

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦.

«يابن أخي! اصبرعلى ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي بن أبي طالب، وحمزة، وجعفر، والحسن بن علي، صلّى الله عليهم أجمعين»[١].

ثم دعا عليه السلام عليهم قائلا:

«اللّهم امسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض. اللّهم إن متعتهم إلى حين، ففرقهم تفريقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلونا»[٢].

ورمى حرملة بن كاهل، الغلام بسهم فذبحه وهو في حجر عمه[٣].

وبقي الحسين على حاله لا يستطيع الجلوس، وأخذ ينوء برقبته، وقد جالت الخيل حوله وتصعصعت[٤] كما يقول هاني بن ثبيت الحضرمي وإذا بغلام آخر من آل الحسين عليه السلام، يخرج مسرعاً نحوه، وهو ممسك بعمود من تلك الأبنية. عليه إزار وقميص، وهو مذعور، يتلفت يميناً وشمالا. فكأني أنظر إلى درتين في اذنيه تذبذبان كلّما التفت، إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف. والغلام هو محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب[٥].

وهناك كثير من الأطفال الذين انتصروا للحسين عليه السلام. وسوف نتعرض لهم في القسم الثاني من هذا الكتاب. وهكذا ملكت ثورة الحسين عليه السلام قلوب الناس، كبيرهم وصغيرهم؛ لأنّها قضية الإنسان العادلة.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٤، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٥، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٤.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٦٨، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٣.

(٤) صعصع: تفرق، تصعصعت: تفرقت.

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٦٨، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٥.

١٣٣ ـ مع الحسين عليه السلام في لحظاته الأخيرة

ولقد مكث الحسين عليه السلام على هذا الحال، زمناً طويلا من النهار، لا يجرأ أحد من القوم على قتله؛ لِما له في نفوسهم من القدسية والرهبة. وكان بعضهم يتقي ويتحاشى من قتله، ويود أن يكفيه غيره.

فنادى شمر فيهم: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل، وقد أثخنته السهام؟! فاحملوا عليه واقتلوه، ثكلتكم أمهاتكم.

فحملوا عليه من كل جانب وصوب، فضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه الأيسر. ورماه الحصين في حلقه، وضربه على عاتقه. وطعنه سنان بن انس بن عمر بالرمح على صدره فوقع، ثم رماه بسهم في نحره. وطعنه صالح في جنبه. والحسين عليه السلام ينوء برقبته ويكبو[١].

قال هلال بن نافع: كنت واقفاً نحو الحسين عليه السلام، وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلا قط مضمخاً بدمه، أحسن منه وجهاً ولا أنور. ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله. فاستقى الماء في هذا الحال، فأبوا أن يسقوه[٢].

وقال له رجل من الأعداء: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها.

الحسين يجيبه:

«أنا أرد الحامية! وإنّما أرد على جدّي رسول الله، وأسكن معه في داره، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. أشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي».

فغضبوا بأجمعهم، حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٦.

(٣) مقتل ابن نما: ٤٩، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٩.

١٣٤ ـ الحسين عليه السلام يناجي ربه

الحسين عليه السلام لم يترك شيئاً إلاّ وبذله في طاعة الله ورضوانه، ولم يبخل بمال، أو جاه، أو نفس، أو ولد في سبيله تعالى.

وأخيراً: إنّه لم يملك إلاّ أنفاساً تصعد وتنزل، وهي في طريقها إلى لقاء ربها، وهو طريح على الرمضاء، قد كللته قطع السيوف والرماح والحجارة، وأثخنته الجراح، وأعياه النزف، وجهد الحرب، والعطش.

ومع هذا الحال، وإذا به يسبح في روح الله وروحانيته، فيناجي ربه بكل مشاعر قلبه، بهذه الأنفاس المتقطعة، التي ستعيش معه لحظات ثم تهدأ. فهو حريص عليها أن لا تذهب سدىً، وأن لا تذهب إلاّ في سبيل الله. رافعاً طرفه نحو السماء قائلا بضعيف صوت:

«اللّهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلايق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شُكرت، ذكور إذا ذُكرت. أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، واستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً.

اللّهم احكم بيننا وبين قومنا، فإنّهم غرونا وخذلونا، وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، يا أرحم الراحمين[1].

---

(١) مصباح المتهجد والإقبال، مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم: ٣٥٧.

صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، ما لي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له. يا دائماً لا نفاذ له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم، وأنت خير الحاكمين»[١].

ثم جاء إليه الخولّى بن يزيد الأصبحي؛ ليحتز رأسه، فأرعد وضعف. فقال له سنان بن انس: فتَّ الله في عضديك وأبان يديك. ثم نزل إلى الحسين عليه السلام، فذبحه واحتز رأسه[٢].

قال إمامنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:

«وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة».

ثم هجموا عليه يسلبون ما عليه من اللباس، وبعدها هجم الجيش على خيامه وحرمه يسلبونهم، وهم يبكون[٣].

وختاماً يا قرائي

وبهذه الوريقات عشنا مع هذه الوثائق، التي صورت لنا عظمة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأهميتها التاريخية والعقائدية. والتي كانت العامل الرئيس، الذي لعب دوراً هاماً في كشف أباطيل الحكام المنحرفين، وانتزاع السلطة التشريعية من أيديهم، بعد أن كان الخليفة، يحكم ويشرع كما يحب ويشاء حسب هواه، فيحرّم ما أحله الله ورسوله، ويحلل ما حرمه الله ورسوله.

(١) أسرار الشهادة: ٤٢٣، رياض المصائب: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦.

(٣) نفس المصدر.

إلاّ أنّ الحسين عليه السلام بثورته المباركة، استطاع أن ينتزع تلك السلطة من يد الخليفة الحاكم المنحرف آنذاك، وافهم الرأي العام بأنّ الخليفة ليس له حق في تشريع أي حكم، وإنّما التشريع منحصر في الكتاب والسنة النبوية، وما يؤدي إليهما.

وكفاها انتصاراً أن وضعت حداً للتلاعب بأحكام الشريعة، من قبل المستهترين والمنحرفين. وهكذا انتصرت ثورة الحسين عليه السلام إرادياً وتشريعياً.

وبقي علينا أن نتفهم معالم هذه الثورة المقدسة، لنسير على هديها، ونستمد منها روحاً من الخير، ومشاعراً من الحق، وهدياً من الفضيلة، وقبساً من الجهاد والنضال؛ لنقود قافلة الأمة في سبيل تحرير أراضيها، وطرد أعدائها الصهاينة واتباعهم.

وإلى اللقاء في القسم الثاني من هذا الكتاب.

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

٣ ـ ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمّد السماوي

٤ ـ الأحكام السلطانية

٥ ـ أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

٦ ـ الاحتجاج، الطبرسي

٧ ـ الإرشاد، الشيخ المفيد

٨ ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة

٩ ـ المجالس الفاخرة، السيد عبد الحسين شرف الدين

١٠ ـ الملل والنحل، الشهرستاني

١١ ـ المناقب، ابن شهر آشوب

١٢ ـ المنتخب، الشيخ الطريحي

١٣ ـ أبو الشهداء، عباس محمود العقاد

١٤ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين

١٥ ـ تاريخ الإمبراطورية العربية

١٦ ـ تاريخ الطبري، طبع ليدن، وطبع دار المعارف، ودار الأعلمي

١٧ ـ ثورة الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الهادي الفضلي

١٨ ـ ثورة الحسين عليه السلام، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين

١٩ ـ ديوان سحر بابل وسجع البلابل، السيد جعفر الحلّي

٢٠ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي

٢١ ـ شرح العقائد النسفية، طبع الأستانة

٢٢ ـ عبرة المؤمنين، السيد جواد شبر

٢٣ ـ عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر

٢٤ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير

٢٥ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس

٢٦ ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبي مخنف

٢٧ ـ مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي

٢٨ ـ مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم

٢٩ ـ مقتل الحسين عليه السلام، السيد محسن الأمين

٣٠ ـ مقتل الحسين عليه السلام، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

٣١ ـ مقتل العوالم، السيد عبد الله البحراني

٣٢ ـ نظام الحكم، الشيخ محمّد باقر القريشي

٣٣ ـ نيل الأوطار، الشوكاني

المحتويات

عرض وتمهيد

رسائل وكتب متبادلة بين معاوية والإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين يعلن معارضته للحكم الأموي

الحزب الأموي وموقفه من الثورة

الركب الحسيني وكربلاء

عاشوراء يوم الفداء والتضحية في سبيل الله

أراجيز في معركة

اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار أخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي

١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزئين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير

٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو